جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

أثر الدلالة النفسية في المعنى في سورة الضحى

إعداد

د/ السيد محمد علي نصر الدين

أستاذ أصول اللغة المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدسوق

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

أثر الدلالة النفسية في المعنى في سورة الضحى

السيد محمد علي نصر الدين
قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، مصر
البريد الالكتروني: elsyednasraldiyn1332.el@azhar.edu.eg

الملخص:
إن الإعجاز في القرآن الكريم لا يقتصر على بديع نظمه، وجمال وروعة أسلوبه ، ولا يتوقف عند دقة اختيار ألفاظه وترتيب تراكيبه، بل يمتدّ إلى ما يحدثه القرآن الكريم من مشاعر تؤثِّر في نفوس مستمعيه، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقع فى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن موضوع البحث وأهميته، والدافع إليه، ومنهج البحث فيه، مشيراً إلى الدراسات السابقة التي تتعلّق بموضوع البحث، وأما التمهيد فقد جاء بعنوان (التعريف بعلم الدلالة) وتناولت فيه أنواع الدلالة كاشفا النقاب عن الدلالة النفسية، المبحث الأول: الدلالة النفسية في سورة الضحى، بَيَّنْتُ فيه الدلالة النفسية التي تخيّم على ألفاظ وتراكيب السورة، المبحث الثاني: الدلالة النفسية لألفاظ السورة الكريمة علقت فيه على الدلالة المعجمية للألفاظ، موضّحا دلالتها النفسية من " خلال السياق وأثرها فى نفس النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، المبحث الثالث: الدلالة النفسية للتراكيب، تناولت فيه الأبعاد والإيحاءات النفسية للتراكيب الخبرية والإنشائية التي وردت في السورة الكريمة، وأثرها فى نفس نبينا الكريم، المبحث الرابع: الدلالة النفسية للفواصل، ألقيت فيه الضوء على الفاصلة القرآنية، وأثرها الدلالي في سياق السورة وقد التزم البحث المنهج الوصفي التحليلي الذى روعي فيه الإشارة إلى أنواع الدلالة المختلفة، وقد تَمَخَّضَ البحث عن عدة نتائج أهمها: الدلالة النفسية التي خَيَّمَتْ على ألفاظ و تراكيب السورة الكريمة هي بثّ الطمأنينة فى قلب النبي محمد – صلى الله عليه سلم – وإشعاره بأنه فى ظلال معية الله، التأكيد على ظاهرة التماسك النصي بين آيات وسور القرآن الكريم، للفاصلة القرآنية في سورة الضحى أثرها الدلالي الذي يتفق مع سياق السورة الكريمة.

الكلمات المفتاحية: الدلالة النفسية، سورة الضحى، الفاصلة القرآنية، المعنى، الإعجاز.

The Impact of Psychological Semantics on the Meaning in Surat Ad-Duha

Sayyed Muhammad Ali Nasr al-Din
Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Desouk, Al-Azhar University, Egypt
Email: elsyednasraldiyn1332.el@azhar.edu.eg

Abstract:
The miraculous nature of the Holy Quran is not limited to its exquisite composition, the beauty and splendor of its style, nor does it stop at the precision of its word choice and the arrangement of its structures. Rather, it extends to the feelings the Quran evokes that affect the souls of its listeners. The nature of this research required that it be divided into an introduction, a preface, and four chapters. The introduction discusses the topic of the research, its importance, the motivation for it, and the research methodology, referencing previous studies related to the topic. The preface is titled (Introduction to the Science of Semantics), in which I discuss the types of semantics, revealing psychological semantics. The first chapter: Psychological Semantics in Surat Ad-Duha. In it, I explain the psychological semantics that loom over The words and structures of the Surah, the second section: The psychological significance of the words of the Noble Surah, in which I commented on the lexical significance of the words, explaining their psychological significance from the context and their effect on the soul of the Prophet Muhammad - may God bless him and grant him peace -, the third section: The psychological significance of the structures, in which I dealt with the dimensions and psychological connotations of the declarative and performative structures that appeared in the Noble Surah, and their effect on the soul of our noble Prophet, the fourth section: The psychological significance of the commas, in which I shed light on the Qur'anic comma and its semantic effect in the context of the Surah. The research adhered to the descriptive and analytical approach, in which it took into account the reference to the different types of significance, and the research resulted in several results, the most important of which are: The psychological significance that prevailed over the words and structures of the Noble Surah is to spread reassurance in the heart of the Prophet Muhammad - may God bless him and grant him peace - and make him feel that he is in the shadow of God's company, emphasizing the phenomenon of textual coherence between the verses and surahs of the Noble Qur'an, the Qur'anic comma in Surat Ad-Duha has its effect S Semantic meaning that is consistent with the context of the Holy Surah.

Keywords: Psychological Significance, Surah Ad-Duha, Quranic Comma, Meaning, Miracle.

مقدمة

الحمد لله خالق الألسن واللغات ، واضع الألفاظ للمعانى بحسب ما اقتضته حكمه البالغات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لسانا ، وأعربهم بيانا ، وعلى آله وصحبه أكرم بهم أنصارا وأعوانا .

وبعد :

فإن الإعجاز في القرآن الكريم لا يقتصر على بديع نظمه وجمال وروعة أسلوبه، ولا يَتَوَقَّفُ عند دقة اختيار ألفاظه وترتيب تراكيبه ، بل يَمْتَدُّ إلى ما يحدثه القرآن الكريم من مشاعر تؤثر فى نفوس مستمعيه، فدلالات ألفاظه وتراكيبه، وإيقاع فواصله تثير الأحاسيس، فتأسر القلوب من دقة اختيار اللفظة دون نظائرها التى تقاربها دلاليا، وتهدي العقول إلى فهم التركيب، وعلاقته بسابقه ولاحقه ؛ ولذا اهتم المفسرون بالدلالة النفسية للسياق القرآني ، وفى مقدمتهم ، الزمخشري ت ٥٣٨ هـ ، وابن عطية ت ٥٤٢ هـ ، والرازي ت ٦٠٦ هـ ، أبو حيان ت ٧٤٥ هـ والشوكاني ت ١٢٥٠ هـ ، وابن عاشور ١٣٩٤هـ. ولمّا كانت هذه الدراسة عامدة إلى أثر الدلالة النفسية في المعنى ، فقد جاء هذا البحث بعنوان (أثر الدلالة النفسية فى المعنى فى سورة الضحى) ، وقد اقتضى ذلك إلقاء الضوء على الألفاظ والتراكيب، وما تثيره الأساليب الخبرية والإنشائية فى السورة الكريمة من إيحاءات نفسية، وبيان أثرها فى نفس المتلقى .

أما عن أسباب اختياري هذا الموضوع فتتمثل فى عدة أسباب من أهمها :

١- الوقوف على أثر الدلالة النفسية فى المعنى .

٢- كشف النقاب عن الدلالة النفسية التى تخيّم على ألفاظ و تراكيب سورة الضحى، والتى تتعاظم قيمتها الدلالية من خلال وجودها فى سورة اختصت بذكر منن الله – سبحانه وتعالى على نبيه محمد – ﷺ – . (١)

(١) تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي تح د/ مجدى باسلوم ٧٥٠/١٠ دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م .

٣- النَّصُّ على المحاور الدلالية التي اشتملت عليها السورة الكريمة .
٤- إلقاء الضوء على الفاصلة القرآنية وأثرها فى الدلالة .
٥- التأكيد على ظاهرة التماسك النَّصِّيِّ بين سور القرآن الكريم من خلال سورة الضحى .

هذا وقد وقع اختياري في هذه الدراسة على سورة الضحى لأمرين: أحدهما : أنها جاءت فى ذكر نعم الله – عز وجل –على نبينا الكريم محمد– صلى الله عليه وسلم –

والآخر: يتعلّق بسبب النزول، وهو الرد على مزاعم وأوهام مشركي مكة إذ قالوا : إن محمدا ودّعه ربه وقلاه فى حادثة توقف نزول الوحي على نبينا الكريم، وما تؤدّيه ألفاظ وتراكيب السورة الكريمة من دلالات نفسية راقية .

وقد التزم البحث المنهج الوصفي التحليلي الذى روعي فيه الإشارة إلى أنواع الدلالة المختلفة.

وينبغي لي في هذا المقام عرض الدراسات السابقة التى تَتَعَلَّقُ بموضوع البحث، ومن أهمها :

١- الدلالة النفسية لبعض الآيات القرآنية فى سورة يوسف – عليه السلام – دراسة موضوعية ، للباحثين محمد مصحب محمد جاسم، وماجد محمد خليفة . (١)

٢-الدلالة النفسية في سورة مريم، للباحث عقيل عكموش عبد . (٢)

٣- التعبير القرآني والدلالة النفسية، للباحث عبد الله محمد الجيوسي . (٣)

(١) بحث منشور بمجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٥)العدد السابع من شوال ١٤٣٩ هـ م٢٠١٨.

(٢) بحث منشور بمجلة القادسية في العلوم والآداب – جامعة القادسية العددان (٣-٤) المجلد (٦) ، ٢٠٠٧ م.

(٣) كتاب منشور بدار الغوثاني – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

٤- لغة القرآن الكريم فى قصة أصحاب الجنة دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي، د/ سوسن الهدهد . [١]

٥- الدلالة النفسية في سورة نوح، د/ مروة محمد عبد العظيم عبد العزيز. [٢]

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقع فى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن موضوع البحث وأهميته، والدافع إليه، ومنهج البحث فيه، مشيراً إلى الدراسات السابقة التي تتعلّق بموضوع البحث .

وأما التمهيد فقد جاء بعنوان (التعريف بعلم الدلالة) وتناولت فيه أنواع الدلالة كاشفا النقاب عن الدلالة النفسية ، والدلالة النفسية التي تضمنتها ألفاظ وتراكيب سورة الضحى .

المبحث الأول: الدلالة النفسية لألفاظ السورة الكريمة علقت فيه على الدلالة المعجمية للألفاظ، موضّحا دلالتها النفسية من " خلال السياق وأثرها فى نفس النبي محمد – ﷺ – .

المبحث الثانى: الدلالة النفسية للتراكيب

تناولت فيه الأبعاد والإيحاءات النفسية للتراكيب الخبرية والإنشائية التي وردت في السورة الكريمة، وأثرها فى نفس نبينا الكريم .

المبحث الثالث: الدلالة النفسية للفواصل .

ألقيت فيه الضوء على الفاصلة القرآنية، وأثرها الدلالي في سياق السورة .

وقد دعمت هذا البحث بخاتمة بَيَّنْتُ فيها أهم النتائج التي توصّلت إليها مختتما إياه بفهارس فنية بيانها على الوجه الآتي :

(١) فهرس المصادر والمراجع

(٢) فهرس الموضوعات

---

(١) بحث منشور مجلة الزهراء – القاهرة ، العدد الثلاثون أكتوبر ٢٠٢٠ م الجزء الأول .

(٢) بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد الخامس والعشرون ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١ م الجزء السادس.

تمهيد

التعريف بعلم الدلالة

الدلالة في اللغة تشير إلى معنى الإرشاد إلى الشيء والتعريف به .

قال الزمخشري :" دَلَّه عَلَى الطَّرِيق، وَهُوَ دَلِيلُ المَفَازَةِ وَهُمْ أَدِلَّاؤُهَا ، وَأُدْلِلْتُ الطَّرِيقَ : اهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ ." (١)

جاء في اللسان : " وقد دلَّهُ على الطريق يَدُلُّه دَلالَةً ودِلالَةً ودُلُولةً، والفَتْحُ أَعْلَى... ودُلِلْتُ بهذا الطريق: عرّفته." (٢)

فلفظ الدلالة يدور معناه حول الإرشاد أو الاستدلال أو الإبانة أو الهداية ، والمقصود بذلك كله معنى اللفظ . (٣)

وفي الاصطلاح :

"هو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى " . (٤)

وعلم الدلالة أو دراسة المعنى " فرع من فروع علم اللغة وهو غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية، والنحوية ، والقاموسية . (٥)

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري تح محمد باسل عيون السود ١/ ٢٩٥ (دل) دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .

(٢) لسان العرب ٢٤٩/١١ (دلل) طبعة دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ .

(٣) في علم الدلالة اللغوية د / عبد التواب مرسى حسن الأكرت صـ ١٠ المكتبة الأزهرية للتراث والجزيرة للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤٩١ هـ ٢٠١٨ م .

(٤) علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ١١، ط عالم الكتب، ط الرابعة (١٩٩٣م) .

(٥) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السعران ص ٢١٣، ط: دار الفكر العربي القاهرة ، ط : الثانية (١٩٩٧م) .

موضوع علم الدلالة :

هو " أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، هذه العلامات أو للرموز قد تكون علامات على الطريق ، وقد تكون إشارة باليد أو إيماءة بالرأس كما قد تكون كلمات و جملا" . (١)

أنواع الدلالة :

قسم الباحثون الدلالة إلى عدة أنواع ولكل نوع منها أهميته في الوصول للمعنى

أولاً: الدلالة الصوتية :

والمراد بها تلك الدلالة" التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات" . (٢)

فهناك كثير من الكلمات تختلف دلالاتها باختلاف الأصوات فيها؛ وذلك لأن" الكلمة إذا أضيف إليها صوت أو حذف منها صوت فإن ذلك يؤدي إلى تغيّر في معناها تبعا لهذا التغير الصوتى " . (٣)

ثانياً: الدلالة الصرفية :

وهذا النوع من الدلالة " يستمد عن طريق الصيغ وبنيتها . (٤)؛ وذلك لأن الصيغ اللغوية لها وظيفتها في الدلالة. على المعنى " فصيغ الأفعال – بأنواعها الماضي والمضارع والأمر تدل على الحدث وزمنه ، وما يتصل بهذه الأفعال من

---

(١) علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ١١.

(٢) دلالة الألفاظ د/إبراهيم أنيس صـ ٤٦ ط: مكتبة الأنجلو المصرية ,ط : الخامسة (١٩٨٤م).

(٣) علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية د / فريد عوض حيدر ص ٣٠ ، ط مكتبة النهضة المصرية، ط : الأولى (١٩٩٨م).

(٤) دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس صـ ٤٧.

حروف الزيادة والتوكيد واللواحق الأخرى وما يدخلها من التضعيف، وغيره ، فكل ذلك له أثره في توجيه المعنى . (١)

فعلى سبيل المثال الهمزة في اللغة العربية لها دلالتها الخاصة التي تؤثر في المعنى " فتزاد الهمزة في أول الفعل فتكون للتعدية مثل : أكرمت محمدًا ، أو تكون للدلالة على حلول وقت الشيء مثل : أحصد الزرع (حان وقت حصاده) أو تزاد للدلالة على الدخول في زمان أو مكان كأمسي وأتهم أي (دخل في المساء ، وتهامة) ،وقد تأتى الهمزة للدلالة على الإزالة كأ شكيته وأعجمته أي : (أزلت شكواه وعجمته) " . (٢)

ثالثاً: الدلالة النحوية :

وهى " الدلالة المحصلة من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي . (٣)

والترتيب النحوي للكلمات له أثره في المعنى المراد ، ولابد من مراعاة هذا الترتيب لاسيما " أن ترتيب الكلمات والعبارات محكوم بقواعد ونظم تختلف من لغة إلى أخرى" . (٤)؛ وذلك لأن اللغة في حقيقة أمرها ليست إلا " نظامًا من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقًا تحتمه قوانين معينة لكل لغة . (٥)

(١) علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبد الغفار هلال ص ١٩٩–٢٠٠ ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

(٢) السابق ص ٢٠٠.

(٣) علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية د/ فريد حيدر صـ ٤٣.

(٤) علم اللغة بين القديم والحديث ص ٢٠٠.

(٥) من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس صـ ٢٩٥ مكتبة الانجلو المصرية – الطبعة السادسة ١٩٧٨ م .

وعلى سبيل المثال : " الجملة (أكرم محمد عليا) لها معنى خاص، فلما تَغَيَّرَ حكمها النحوي بأن جعل الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا فقيل: (أكرم علي محمدًا) كان المعنى مختلفا تماما . (١)

رابعاً: الدلالة المعجمية :

المقصود منها هي تلك " الدلالة التي وضعها الأسلاف للألفاظ المختلفة وتكفلت ببيانها قواميس اللغة حسب ما ارتضته الجماعة واصطلحت عليه، وتستعمل في الحياة اليومية بعد تعلمها بالتلقين والسماع والقراءة والاطلاع على آثار السابقين شعرا ونثرا " . (٢)

وقد أطلق عليها د/ إبراهيم أنيس " الدلالة المركزية " . (٣)

والدلالة المعجمية للكلمة لاشك أن دورها هو " أهم دور في فهم المعنى والعمل اللغوي عموما

إذ الدلالة هي جوهر الظاهرة اللغوية ومن دونها لا يتأتى للألفاظ والتراكيب وظيفة وفاعلية " . (٤)

وهناك الدلالة النفسية -:

وهي تشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد ، فهي بذلك معنى فردي ، وبالتالي تعد معنى مقيدا بالنسبة لمتحدث واحد فقط ، ولا يتميز بالعمومية، ولا التداول بين الأفراد جميعا .

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبد الغفار هلال صـ ٢٠٠.

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبد الغفار هلال صـ ١٩٦.

(٣) دلالة الألفاظ د/إبراهيم أنيس ص ١٠٦ ، ١٠٧.

(٤) المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق د/ رياض زكى قاسم صـ ٢٣٥ ط دار المعرفة بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م

ويظهر هذا المعني بوضوح في الأحاديث العادية للأفراد ، وفي كتابات الأدباء ، وشعر الشعراء ، حيث تنعكس المعاني الذاتية النفسية بصورة واضحة قوية تجاه الألفاظ والمفاهيم المتباينة [١] فالدلالة النفسية إذا تنشأ من الاتصال اللغوي ، ولذا قالوا في تعريفها :" الكيفية التي تجري بها إشباع الحاجات أو الغرائز". ومنهم من قال : بأنها الكيفية التي تربط دوافع الإشباع بالمفاهيم . [٢]

سورة الضحى

سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي أَكْثَرِ الْمَصَاحِفِ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُب التَّفْسِيرِ وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِي» «سُورَةَ الضُّحَى من دُونِ وَاو. ، وَسُمِّيَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ التَّفَاسِيرِ وَفِي صَحِيح الْبُخَارِي» «سُورَةَ وَالضُّحَى» بِإِثْبَاتِ الواو .

ولما يَبْلُغْنَا عَن الصَّحَابَةِ خَبَرٌ صَحِيحٌ فِي تَسْمِيَتِهَا. وَهِيَ مَكِّيَّةُ بالاتفاق . [٣]

سبب نزولها

ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَجلي قَالَ: «دَمِيَتْ إِصْبَعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاشْتَكَى فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ (وَهِيَ) أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ زَوْجُ أَبِي لَهَبٍ كَمَا فِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ذَكَرَهَا ابْنُ عَطِيَّةَ فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرَبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ فَأَنْزَلَ الله : ﴿وَٱلضُّحَىٰ . وَٱلَّيلِ

(١) علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ٣٩.

(٢) الدلالات النفسية لبعض الآيات القرآنية في سورة يوسف صـ (٢٠٢) .

(٣) ينظر / التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٣٠ / ٣٩٣ – الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤ هـ)

إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ وَعُدَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ حَادِيَةَ عَشْرَةَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّورِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفَجْرِ وَقَبْلَ سُورَةِ الانْشِرَاح. وَعَدَدُ أيهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً وَهِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ في قصار المفصل[1] هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ. وَلَمَّا ذَكَرَ فِيمَا قَبْلَهَا ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [2] ، وَكَانَ سَيِّدُ الأتقين رسول الله – ﷺ – ذَكَرَ تَعَالَى هُنَا نِعَمَهُ عَلَيْهِ . [3]

أغراضها –:

إِبْطَالُ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ إِذْ زَعَمُوا أَنَّ مَا يَأْتِي مِنَ الوَحْيِ لِلنَّبِيءِ ﷺ قَدِ انْقَطَعَ عَنْهُ. وَزَادَهُ بِشَارَةً بِأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأُولَى عَلَى مَعْنَيَيْنِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَأَنَّهُ سَيُعْطِيهِ رَبُّهُ مَا فِيهِ رِضَاهُ. وَذَلِكَ يَغِيظُ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ ذَكَّرَهُ اللهُ بِمَا حَفّهُ بِهِ مِنْ أَلْطَافِهِ وَعِنَايَتِهِ فِي صِبَاهُ وَفِي فُتُوتِهِ وَفِي وَقْتِ اكْتِهَالِهِ وَأَمَرَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى تِلْكَ النِّعَمِ بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ نَفْعٍ لِعَبِيدِهِ وَثَنَاء عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُه . [4]

الدلالات النفسية في السورة:– .

- لمّا حكم في آخر سورة الليل بإسعاد الأتقياء، وكان النبي – ﷺ – أتقى الخلق مطلقاً، وكان قد قطع عنه الوحي حيناً ابتلاء لمن شاء من عباده، وكان به – ﷺ – صلاح الدين والدنيا والآخرة، وكان الملوان سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم، أقسم سبحانه وتعالى بهما على أنه أسعد الخلائق دنيا وأخرى، فقال مقدماً ما يناسب حال الأتقى الذي قصد به أبو بكر– رضي الله عنه –

(١) ينظر السابق ٣٠ / ٣٩٣.

(٢) يريد الآية (١٧) من سورة الليل قوله تعالى: " وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى" .

(٣) ينظر / البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي – تح / صدقي محمد جميل١٠/٤٦٩ – دار الفكر – بيروت – ط ١٤٢٠هـ

(٤) ينظر / التحرير والتنوير ٣٠ /٣٩٤.

قصدا أوليا من النور الذي يملأ الأقطار، ويمحو كل ظلام يرد عليه ويصل إليه، مفهماً بما ذكر من وقت الضياء الناصع حالة أول النهار وآخر الليل التي هي ظلمة ملتف بساقها ساق النهار عند الإسفار ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ فذكر ما هو أشرف النهار وألطفه وهو ،زهرته، وأضواءه وهو صدره، وذلك وقت ارتفاع الشمس ؛لأن المقسم لأجله أشرف الخلائق، وذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد من الخلق . (١)

- ولمّا ذكر النهار بأشرف ما فيه مناسبة لأجل المقسم لأجله، أتبعه الليل مقيداً له بما يفهم إخلاصه لأنه ليس لأشرف ما فيه اسم يخصه فقال: ﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ أي الذي به تمام الصلاة؛ ولما كان أوله وآخر النهار وآخره وأول النهار ضوءاً ممتزجاً بظلمة لالتفاف ساق الليل بساق النهار، قيد بالظلام الخالص فقال: ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ أي سكن أهله أو ركد ظلامه وإلباسه وسواده واعتدل فخلص فغطى بظلامه كل شيء، والمتسجي: المتغطي، ومع تغطيته سكنت ريحه، فكان في غاية الحسن، ويمكن أن يكون الأول مشيراً إلى ما يأتي به هذا الرسول – ﷺ – من المحكم، والثاني مشيراً إلى المتشابه، وهذه الأربعة أحوال للنور والظلمة – وهي ضوء ممتزج بظلمة، وظلمة ممتزجة بضوء، وضياء خالص وظلام خالص – الحاصلة في الآفاق في الإنسان مثلها، فروحه نور خالص، وطبعه ظلام حالك، وقلبه نور ممتزج بظلمة النفس، والنفس ظلمة ممتزجة بنور القلب، فإن قويت شهوة النفس على نورانية القلب أظلم جميعه، وإن قويت نورانية القلب على ظلمة النفس صار نورانيا، وإن غلبت الروح على الطبع تروحن فارتفع عن رتبة الملائكة، وإن غلب الطبع

(١) ينظر/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت : ٨٨٥هـ) (٢٢/١٠٠-١٠١ ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة . د ت

على الروح أنزله عن رتبة البهائم كما قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَل هُمۡ أَضَلُّۚ﴾[1].

- ولمّا أقسم بهذا القسم المناسب لحاله – ﷺ – ، أجابه بقوله تعالى ما ودعك أي تركك تركا يحصل به فرقة كفرقة المودع ولو على أحسن الوجوه الذي هو مراد المودع {ربك أي الذي أحسن إليك بإيجادك أولا، وجعلك أكمل الخلق ثانيا، ورباك أحسن تربية ثالثا، كما أنه لا يمكن توديع الليل للنهار بل الضحي للنهار الذي هو أشد ضيائه، ولا يمكن توديع الضحي للنهار ولا الليل وقت سجوه له . [2] ومن ثم فإن المراد من افتتاحية السورة الكريمة هو تكريم الحق – سبحانه وتعالى – لنبيه محمد – ﷺ – وبيان علو منزلته عند ربه .

وإذا كان العالم فيرث قد قال : " إن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، أى وضعها في سياقات مختلفة ؛ لأن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى ، وإن معانى هذه الوحدات لايمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها "[3]، ومن بين السياقات التي نبّه العلماء على دراسة معانى الكلمات فيها السياق العاطفى : وهو ما يحدد درجة القوى والضعف في الانفعال ، مما يقتضى تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا . [4]

فإن المتأمل في سورة الضحى يدرك الدلالة النفسية لألفاظ وتراكيب وفواصل السورة الكريمة ، وما تحدثه من مشاعر تظهر في سياق الكلام ، وتؤثر

(١) سورة الأعراف من الآية ١٧٩ .

(٢) ينظر/ السابق ٢٢/١٠٠-١٠١

(٣) ينظر علم الدلالة د / أحمد مختار عمر صـ ٦٨ ،٦٩ عالم الكتب الطابعة الخامسة ١٩٩٨م ودراسات في الدلالة والمعجم د/ رجب عبد الجواد إبراهيم صـ ٢١ دار غريب ٢٠٠١ م.

(٤) علم الدلالة د / أحمد مختار عمر صـ ٦٩ ،٧٠.

فى نفس المتلقي ، فالمعانى تكون ذا اتصال وثيق بالخواطر أي الأحاسيس والمشاعر، فهى تترجم عن أحاسيس المرء ومشاعره . (١)

فتركزت الدلالة النفسية فى سورة الضحى فى بث الطمأنينة فى قلب النبي محمد – ﷺ – وإشعاره بأنه في ظلال معية الله ويمكنك أن تشعر بهذه الدلالة من خلال بعض النقاط الآتية **أهمها :-**

١- استهلال السورة الكريمة بلفظين يحملان معنى السكون والطمأنينة وذلك من خلال الفاصلة القرآنية (الضحى) و(سجى) .

٢- التباين بين الفعلين (ودّعك) (وقلي) من حيث ذكر ضمير الخطاب (الكاف) وحذفه وما يحدثه من آثار نفسية .

٣- إيثار النظم القرآني في السورة الكريمة بالتعبير بلفظة معينة دون نظائرها التى تقاربها دلاليا كما فى التعبير بالفعل (قلى) دون غيره من الأفعال التي تقاربه من الناحية الدلالية مثل أبغض ، أو كره ، أو ترك وما يحدثه هذا الاختيار من مشاعر نفسية إيجابية في نفس النبى محمد – ﷺ – من الهدوء النفسى والسلام الداخلى والثبات الانفعالي .

٤- انتهاء الفاصلة القرآنية فى السورة الكريمة في ثماني فواصل بحرف الألف الذى يتميز بالامتداد حال النطق به ، وهو ما يحاكى امتداد عطاء الله لنبيه محمد في سورة وُصفت بأنها جاءت في تذكير منن الله تعالى لرسوله .

(١) علم الدلالة اللغوية دراسة تطبيقية على القرآن الكريم د / أحمد عبد التواب صـ ٢٥ المكتبة الأزهرية للتراث – الجزيرة للنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠١٠م .

المبحث الأول :- الدلالة النفسية للألفاظ

بدأت السورة الكريمة بأسلوب القسم الدال على تكريم النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – و بيان منزلته عند ربه التي لا يتطلع إليها بشر وعظم مكانته التي لا يقاربه فيها ملك، فجاء التعبير بالقسم في قوله تعالى ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أي ورب الضحى وهذا من أعظم درجات المبرة . (١) ولَمَاَّ كان المقام تعظيم رسولنا الكريم – صلوات ربي وسلامه عليه – ناسب أن يأتي أسلوب القسم على قدر النبي الخاتم فلوحظ فيه شيئان أما الأول: فهو تعدد المقسم به ﴿وَٱلضُّحَىٰ، وَٱلَّيۡلِ﴾ والآخر : عظم ما فى المقسم به، فالليل والنهار من آيات قدرة الله – سبحانه وتعالى – ودلائل وحدانيته فى كونه ، أما دلالة وحدانيته وألوهيته اتساقهما وجريانهما على حد واحد وسنن واحدة مذ كانا وأنشئا من الظلمة والنور، والزيادة والنقصان ؛ فدل جريانهما على هذا النحو أن منشئهما واحد ؛ إذ لو كان فعل عدد لكان إذا جاء هذا، وغلب الآخر، دامت غلبته عليه، وكذلك الآخر يكون مغلوبا أبدا، والآخر غالبا، فإذا لم يكن ذلك ، دلّ أنه فعل واحد ..... ودلّ اتصال أحدهما بالآخر على أن ذلك عمل واحد لا عدد، كما دلّ اتساقهما ودوامهما على حد واحد على الاستواء أن منشئها مدبر عليم . (٢) وقد كشف المفسرون النقاب عن علّة اختيار لفظي الضحى والليل في القسم ، لاختصاص النبي بالصلاة فيها؛ وكذلك لأن الله كلّم موسى فى ساعة الضحى، فقد ورد فى فتوح الغيب : وقيل : إنما خصّ وقت الضحى بالقسم ؛لأنها الساعة

(١) تفسير ابن عرفة لمحمد بن محمد بن عرفة تح محمد المناعي٤/٣٣٥ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٨م

(٢) ينظر تأويلات أهل السنة لأبي منصور الما تريدي تح د/ مجدي باسلوم ١٠/٥٧٠ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م بتصرف .

التي كلّم فيها موسى عليه السلام – وألقى فيها السحرة سجدا لقوله . [١] ﴿ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحى﴾. [٢]

وزاد ابن عرفة الأمر وضوحا فى تفسير علّة اختيار الضحى والليل فى القسم بهما قائلا ": فيه مناسبة قسم بالمقسم به، لأن النبي – ﷺ – وعلى آله وسلم كان يصلى وقت الضحى ويصلى في جوف الليل قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ . قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلا﴾. [٣] فهما وقتان ثبت لهما الفضيلة " . [٤]

واللافت للنظر في الآية الكريمة تقديم القسم بالضحى على القسم بلفظ (الليل) وقد أرجع الزمخشري السرّ فى تقديم القسم بلفظ (الضحى) ؛ لأنها الساعة التي كلّم الله فيها موسى ، وألقي السحرة فيها سجدا[٥] بقوله ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحى). [٦] وأرى أن هناك لطيفة بلاغية أخرى في تقديم القسم بلفظ (الضحى) وتتمثّل فى أنه لما كان الغرض من القسم تكريم النبي

محمد – ﷺ – وبيان علو منزلته عند ربه فناسب ذلك البدء بذكر لفظ الضحى، وكأن المولى سبحانه وتعالى – يصور علو منزلة نبيه وارتفاع مكانته عنده بارتفاع الشمس وانبساطها في السماء، كما أن دلالة اللفظ تعكس علاقة

(١) فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي تح اياد محمد الغوج، د/ جميل بني عطا ٤٧٩/١٦ نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣م .

(٢) سورة طه من الاية رقم (٥٩).

(٣) سورة المزمل . الآيتان (١–٢).

(٤) تفسير ابن عرفة ٣٣٥/٤ .

(٥) سوره طه من الآية ٥٩.

(٦) تفسير ابن عرفة ٣٣٥/٤.

نبينا الكريم بالحق – عزّ و جلّ– فعبّر النظم القرآني بلفظ الضحى للتأكيد على عمق العلاقة، فهي وثيقة لا تنقطع ولا تفتر كما توهّم مشركو مكة واضحة مثل وضوح النهار،

فالضحى هو صدر النهار حين ترتفع الشمس وسطوعه . [١] ، وعرّفه بعضهم بقوله : هو سطوع الضوء وعظمه . [٢]

وورد في اللسان": وقيل: الضُّحَى من طُلوع الشمسِ إِلَى أَن يرتَفِعَ النهارُ وتَبْيَضَّ الشمسُ جدّاً » . [٣]

فدلالة اللفظ تدور حول معنيين هما ارتفاع الشمس فى السماء، وعظم ضوء النهار.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن النظم القرآني عبّر هنا بالجزء وأراد الكل ، فالله – عزّ و جلّ– أقسم بالضحى والمراد به النهار كله لقوله فى المقابلة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ . [٤]

ومما لاشك فيه أن التعبير بأسلوب القسم فيه تسرية لنفس النبي محمد الشريفة عن أكاذيب وافتراءات المشركين ، ففى اختيار لفظ الضحى تعبيرا عن النهار وهو الوقت الذي كلّم فيه الحق – سبحانه وتعالى – نبيه موسى – عليه

(١) فتوح الغيب ٤٧٨/١٦.

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي تح نور الدين طالب ٣٨٦/٧ دار النوادر – إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م .

(٣) لسان العرب لابن منظور ١١٠/٤ (ضحي) دار صادر– بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

(٤) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن على بن احمد الواحدي تح الشيخ عادل احمد عبد الموجود، على محمد معوض وآخرين ٥٠٧/٤ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م

السلام – وهو الوقت نفسه الذى انتصر فيه المولى – عزّ و جلّ– لموسى على سحرة فرعون – رسالة محبة وبشرى لنبيه محمد أنه سيظهره على المكذبين من قومه، ويرد ادعاءهم بمجافاة ربه له. أما قوله تعالى ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ فهو قسم ثان إلا أن أسلوب القسم فى الآية الكريمة يعد قسما واحدا ، وإنما جاء التكرار فى القسم للإشعار بأن محمدا – ﷺ – في ظلال معية الله ليلا ونهارا ، فمن أين يأتى انقطاع الوحي ؟ وكيف تحدث المجافاة ؟ ففى تكرار القسم دلالة واضحة على اتصال نبينا الكريم بربه ما تعاقب الليل والنهار، فالمتأمل في السورة الكريمة يدرك القيمة الدلالية لافتتاحها بأسلوب القسم .

والتى تتمثل فى النقاط الآتية :

١– علو منزلة النبي محمد ﷺ – عند المولى – سبحانه وتعالى – وعظم مكانته، وهذا ما ظهر من خلال القسم بلفظ الضحى؛ إذ المراد منه ورب الضحى .

٢– مناسبة أسلوب القسم لتعظيم وتكرم نبينا الكريم – صلوات ربي وسلامه عليه – وقد بدت هذه المناسبة جلية من وجهين :

الأول : تكرار القسم، والآخر عظم ما في المقسم به ، فقد أقسم الحق بآيتين من آيات قدرته ودلائل وحدانيته، فاختير الأعظم للأشرف

٣– التأكيد على نصرة الله – جلَّ وعلا – نبيه محمدا – ﷺ – وردّ مزاعم المكذبين له من قومه الذين ادعوا انقطاع الوحي عنه ، وتوهّموا مجافاة ربه له من خلال التعبير بلفظ الضحى الذي يوحى بنصرة الحق – سبحانه وتعالى – نبيه موسى على سحرة فرعون ، ناهيك عن أنه الوقت نفسه الذى كلّم الله – عزّ و جلّ– نبيه موسى فيه ، ولا يخفى على أحد ما في هذه الدلالات من إلقاء السكينة في قلب النبي محمد، وإشعاره بالقرب من ربه وعلو مكانته عنده مما يخدم الدلالة النفسية التي تخيّم على ألفاظ وتراكيب

السورة الكريمة وهى بثّ الطمأنينة في قلب النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– وإشعاره بأنه في ظلال معية الله .

وقد اختلف المفسرون فى دلالة الفعل سجى فى قوله تعالى ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ فجاءت أقوالهم على خمسة تأويلات : أحدها : إذا أقبل ، قاله سعيد بن جبير . الثاني : إذا أظلم، قاله ابن عباس . الثالث: إذا استوى قاله مجاهد. الرابع: إذا ذهب . قاله ابن حنظلة عن ابن عباس . الخامس : إذا سكن الخلق فيه، قاله عكرمة وعطاء وابن زيد . (١)

وفسّر قتادة معنى السكون باستقرار الظلام قائلا: " إذا سكن، يعني استقر ظلامه ، فلا يزداد بعد ذلك "(٢)

والمعنى الذي تطمئنّ إليه النفس في تفسير الفعل [سجى] فى الآية الكريمة هو سكن، كما قال عكرمة وعطاء وابن زيد ؛ لأنه يتفق و الدلالة النفسية التي تخيّم على ألفاظ وتراكيب السورة الكريمة وهى بثّ الطمأنينة فى قلب النبي محمد، كما أن هذا المعنى يتفق والدلالة المعجمية للفعل [سجى] ، فقد ورد فى اللسان : " سَجَا البَحْرُ وَأَسْجَى إِذَا سَكَنَ، وَسَجَا اللَّيْل وَغَيره يَسْجُو سَجْوًا وسُجُوًّا: سَكَنَ وَدَامَ. ولَيْلَةٌ سَاجِيَةٌ .

إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةَ البَرْدِ وَالرِّيحِ وَالسَّحَابِ غَيْرَ مُظْلِمَةٍ . وَسَجَا البَحْرُ سَجْوًا : سَكَنَ تَمَوُّجُهُ " . (٣)

(١) النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي تح السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم ٦ /٢٩١، ٢٩٢ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، د ت.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض، وآخرين ٤/ ٥٠٧.

(٣) لسان العرب ٣ /٢٥٠ (سجو).

ومما زادني يقينا أن المعنى المراد من الفعل [سجى] فى الآية الكريمة هو السكون، أن الفعل [سجى] يتضمن معنى الطمأنينة ، جاء فى اللسان (قيل: نَاقَة سَجْواء: مُطْمَئِنَّةُ الْوَبَرِ..... وشَاة سَجْوَاءُ: مُطْمَئِنَّةُ الصُّوفِ " . [١]

فالدلالة المعجمية للجذر [سجى] تدور حول معنيي السكون والطمأنينة ، ولا يخفى على أحد ما يحدثه استهلال السورة الكريمة بلفظين يحملان معنى السكون والطمأنينة – الضحى، سجى – فى نفس النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لى الله عليه وسلم من الهدوء النفسي والسلام الداخلي.

ونفى المولى – عزّ و جلّ – مزاعم مشركي مكة والتى نطقت بها ألسنتهم كفرا وعنادا بقوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ جواب القسم، ومعناه: ما قطعك قطع المودّع . [٢]

وفي قوله (وَدَّعَكَ) قراءتان أحدهما : قراءة الجمهور ودَّعك بالتشديد، ومعناها : ما انقطع الوحي عنك توديعا لك. والأخرى[٣] بالتخفيف قال ابن جني وهي قراءة النبي، وعروة بن الزبير، وهي قليلة الاستعمال " ومعناها ما تركك إعراضا عنك [٤] .

وعلى الرغم من قلة استعمال قراءة التخفيف [وَدَعَكَ] إلا أن لهذه القراءة وجاهتها على حد وصف ابن جني لها، وإنما حسَّن هذه القراءة الموافقة بين الكلمتين، كأنه قيل : ما تركك وما قلاك ، ومؤدى معنى المشهورة إلى هذا ؛ لأن

(١) السابق ٣ /٢٥٠ (سجو).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٤٨٠/١٦.

(٣) وردت بلفظ الثانية والصواب الأخرى ،لأن ليس هناك ثالثه ولا رابعة بنظر النكت والعيون للماوردى ٢٩٢/٦

(٤) النكت والعيون للماوردى ٢٩٢/٦ ، وفتوح الغيب ١٦/ ٤٨٠

التوديع أمارة المحبة ، وقصدهم غاية البغض، ولذلك قال التوديع مبالغة فى الوداع . [١] والبحث يؤكّد على أفضلية قراءة الجمهور (ودّعك) بالتشديد لتواترها .

ثم تأمل دلالة الإضافة في قوله تعالى (رَبُّكَ) فالإضافة هنا تفيد التعظيم ، فلمّا كان المقام هنا بيان ، تكريم الله – سبحانه وتعالى لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – وتعظيمه إياه فناسب هذا التعبير بلفظ [ربك] الذي يدل على العبودية لله – عزّ وجلّ– وأي مقام أعلى وأعظم من العبودية لله. وهذا التركيب يبرز قيمة الدلالة النحوية المتمثلة في الإضافة.

أما قوله تعالى (وَمَا قَلَىٰ) فمعناه أى ما أبغضك، وحذفت الكاف من [قلاك] لدلالة الكلام . [٢]

وزاد السمعاني معنى الترك في دلالة الفعل [قلى] إذ قال معلقا على الفعل وقيل : ما تركك منذ قبلك، وما أبغضك منذ أحبك " . [٣]

فالفعل (قَلَىٰ) يدور معناه حول معنيي البغض والترك.

واللافت للنظر في الآية الكريمة اختلاف الفعلين (ودّعك – قلى) من حيث ذكر ضمير الخطاب العائد على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – فى (ودعك) مع وحذفه فى (قلى) ، فقد ذكر فى قوله تعالى (ما ودّعك) للدلالة على قرب النبي من ربه، وعلو منزلته عنده ؛ لأن التوديع أمارة المحبة، ولذلك قال

---

(١) فتوح الغيب لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ١٦/ ٤٨٠.

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمى تح نور الدين طالب ٧ /٣٨٧.

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني تح / ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس بن غنيم ٢٤٣/٦ دار الوطن إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م .

التوديع : مبالغة في الوداع .[١](وحذف في قوله – جل وعلا (وما قلى) استهجانا لذكره مع معنى البغض ، وهو معنى مذموم ، فالقلي: البغض، فإن فتحت القاف مددت تقول : قلاه يقليه قلى وقَلَاء، ويقلاه لغة طيء ..... قال ابن سيده": قَلَيْتُه قِلىً وقَلاءً ومَقْلِيَة: أَبْغَضْتُهُ وَكَرِهْتُهُ غَايَة الْكَرَاهِيَة فَتَرَكْتُهُ".[٢]

ولاشك أن هذا التباين بين الفعلين فى ذكر ضمير الخطاب وحذفه من شأنه أن يشعر النبي محمدا – ﷺ – أنه فى ظلال معية الله – سبحانه وتعالى – وتتعاظم قيمة الدلالة النحوية في الآية الكريمة ، فبعد ظهورها في دلالة الإضافة في لفظ (ربك) تطل علينا مرة أخرى في إيثار النظم القرآني التعبير بصيغة الماضي في الفعلين (ودعك – قلى) ، وهو ما يفيد تأكيد نفي وقوع الفعلين في الماضي مع الوعد بعدم ثبوت التوديع والكراهية تجاه نبينا الكريم فى الحاضر والمستقبل، وهذا أبلغ في الرد على المشركين في ادعائهم، وأعظم وأوقع في تكذيبهم فيما قالوه : إن محمدا قد ودّعه ربه وقلاه ، مما له أبلغ الأثر في إلقاء السكينة فى قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو ما يتلاءم مع المعنى الذى يخيم على ألفاظ وتراكيب السورة الكريمة .

أما عن العلّة فى تقديم قوله (مَا وَدَّعَكَ) على الفعل (وَمَا قَلَىٰ) فتكمن في بيان علو منزلة نبينا الكريم محمد عند ربه ، وتكريم الحق سبحانه وتعالى – له ، وهذا ما عبّر عنه ابن عرفة بقوله فإن قلت : الترك أعمّ من الخصوص، ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص فلو بدأ بنفي الأخص لكان تأسيسا، فلمَ عدل

(١) فتوح الغيب ١٦/ ٤٨٠.

(٢) لسان العرب ٥/ ٣١٦ (قلي).

عنه إلى التوكيد؟ فالجواب أن التأكيد هنا أبلغ ؛لأنه في مقام الاعتناء والتعظيم للنبي – صلى الله عليه وسلم – وتنزيهه من الخصال الذميمة كلها . (١)

ومن ثم يتضح لنا معنى الآية الكريمة التى تفيد : ما تركك ربك يا محمد منذ أوحى إليك ، وما أبغضك . (٢)

لكن اللافت للنظر في الآية الكريمة والذي يستوقف نظر البلاغيين قبل المفسرين ويستدعي حسّ الأدباء قبل الأصوليين هو أسلوب الخطاب في الآية ، فيبدو من النظم القرآني أن الخطاب جاء للنبي– ﷺ – من جبريل – عليه السلام – كما أوضح أحد المفسرين . (٣)

وربما كان هذا من قبيل التلطف من المولى– سبحانه وتعالى – مع نبينا الكريم، فلمّا كان المعنى العام في السورة يدور حول بث الطمأنينة فى قلب النبي محمد والمقام مقام ذكر نعم الله – عزّ و جلّ– عليه ناسب هذا أن يكون الخطاب بواسطة جبريل – عليه السلام – على أكثر الآراء ، وهذا ما ذهب إليه الماتريدي ت٤٥٠ هـ ، ولكنه كان مترددا فى توجيه الخطاب إلى النبي ما بين كونه من جبريل – عليه السلام – أومن الحق – سبحانه وتعالى – فعبّر عن هذا بقوله ((المخاطبة إنما كانت من غير الله – تعالى – إياه ، كأن جبريل عليه السلام – خاطبه في ذكر منن الله – تعالى – إياه، وذكر نعمه ألا ترى أنه قال (ما ودّعك ربك) ولم يقل (ما ودّعناك) ويجوز أن يكون الخطاب فى سورة الضحى من الله على المغايبة ، كما يقال : إن أمير المؤمنين يقول كذا ويريد نفسه . (٤)

---

(١) تفسير ابن عرفة ٣٣٦/٤ .

(٢) ينظر بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ٣/ ٥٩١ د ت .

(٣) تأويلات أهل السنة الماتريدي تح د/ مجدي باسلوم ١٠ /٥٦٤ / ٥٧٠.

(٤) السابق ١٠/ ٥٦٤.

والمتأمل في الآية الكريمة يدرك مدى التماسك النصي بين آيات القرآن الكريم ، وهو من أجمل وجوه الإعجاز القرآني ، وهذا ما يظهر لك فى التماسك النصي بين هذه الآية الكريمة وقوله – سبحانه وتعالى – ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾. (١)

وهذا ما أشار إليه الماتريدي بقوله :" قوله – عزّ و جلّ– ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ هذا يخرج على وجوه ثلاثة :

أحدها ما قاله بعض أهل التأويل : إن جبريل قد كان احتبس عنه زمانا، فقال أهل مكة : قد ودّعه ربه وقلاه ، فنزل وَٱلضُّحَىٰ .﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ على ما قال المشركون فيخرج على هذا قوله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ على الترك. أى ما كان ربك تركك لما قال أولئك من التوديع والقلى " . (٢)

ومما زاد التماسك النصي جمالا هنا أنه لم يقع بين تركيبين داخل السورة الكريمة، وإنما جاء التماسك بين قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ من سورة (مريم) وقوله – عزّ وجلّ – ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ ،الأمر الذي يثبت أن النظم القرآنى وحدة واحدة يفسّر بعضه بعضا .

والتماسك النصي هو : خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى . (٣)

---

(١) سورة (مريم) من الآية (٦٤) .

(٢) تأويلات أهل السنة الماتريدي ٧/ ٢٥٠.

(٣) دلالة السياق في القصص القرآني د/ محمد عبد الله علي يوسف العبيدي ص١٩٤ إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء الجمهورية اليمنية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

وبعد أن نفى الحق سبحانه وتعالى – ادعاءات مشركي مكة وأزاح أوهامهم المتمثلة فى انقطاع علاقة نبينا الكريم محمد– ﷺ – بربه ، وما أصابها من جفوة، وهو ما يمثل المحور الدلالي الأول في السورة الكريمة ،انتقل النظم القرآني إلى المحور الدلالي الثاني في السورة الكريمة وهو تكريم الحق سبحانه – للنبى محمد – ﷺ – ، فجاء قوله تعالى ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ ليحمل البشرى للنبي محمد – صلوات ربي وسلامه عليه – فالمراد من هذه الآية الكريمة ما أعطاك الله فى الآخرة خير لك مما أعطاك فى الدنيا، ويقال فى معناها عزّ الآخرة خير من عزّ الدنيا ؛ لأن عزّ الدنيا يفنى، وعزّ الآخرة يبقى .[1]

وفى استهلال الآية الكريمة بلفظ (وللآخرة) لطيفة بلاغية جديرة بالذكر وهي أن زعم مشركي مكة كان يتركز على مآل علاقه النبي – ﷺ – بربه ، فمحور التكذيب والافتراء فيما آل إليه حال المصطفى فى علاقته بربة من انقطاع وبغض في ظنهم الكاذب ، ولذا جاء السياق في الآية منصبا على ما سيصير إليه مآل النبي محمد من الكرامة عند ربه وتكريمه يوم القيامة بالشفاعة لقومه

وقد ألمح ابن عرفة إلى هذا معلقا على الآية بقوله : " أي مالك عندنا أعظم مما أعطيت من كرامة الدنيا ".[2]

ولا يخفى على أحد ما تحدثه دلالة هذه الآية من صدمة فى نفوس المشركين بعد دحض مزاعمهم ونقض أوهامهم ، وما تلقيه فى نفس نبينا الكريم من الثبات الانفعالي والسلام الداخلي، فعطاء الله له بلا حدود .

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٥٩٢/٣.

(٢) تفسير ابن عرفة ٤/ ٣٣٦.

كما أدّى النظام التركيبي في الآية دورا كبيرا فى بيان علو منزلة النبي– صلى الله عليه وسلم – عند ربه، وتصوير مكانته التي لا يقاربه فيها بشر، ولا يتطلع إليها ملك، وقد ظهر هذا من وجهين :

الأول : التباين في ذكر ضمير الخطاب (الكاف) العائد على النبي فى قوله (خير لك) لاقترانه بمعنى محمود ، فيما حذف الضمير فى قوله (وما قلى) في الآية السابقة استهجانا لذكره مع معنى مذموم وهو (القلى) الأمر الذي يظهر علو منزلة النبى – ﷺ – عند ربه .

والآخر: وقوع الجار والمجرور (لك) قبل اكتمال صيغة التفضيل حيث فصل الجار والمجرور بين (خير) ومن الجارة مما يوحى بالاهتمام بذكر محمد ، الأمر الذي يبرز دور الدلالة النحوية .

وجاء قوله تعالى ﴿وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَىٰ﴾ في سياق تكريم الحق– سبحانه وتعالى – لنبيه محمد – ﷺ – في الدنيا والآخرة .

متناغما مع الدلالة النفسية التى تخيم على السورة الكريمة وهى بث الطمأنينة في قلب النبي محمد، ويظهر هذا جليا من خلال النقاط الآتية:

١–اجتماع حرفي اللام وسوف في قوله ﴿ وَلَسَوفَ ﴾ رغم التباين في معنييهما ، فاللام هنا لام الابتداء وهي دالة على التوكيد، أما حرف سوف فهو في الأصل للتنفيس . (١)

(١) ذكر بعض النحويين لسوف موضعا ، لا تدخل فيه السين ، وهو أن لام الابتداء والتوكيد تدخل على سوف نحو(ولسوف يعطيك ربك فترضى) ولا يكون ذلك في السين ؛ لئلا يجتمع حرفان على حرف واحد ، مفتوحتان زائدان على الكلمة، ولشدة اتصال بعضها ببعض ، واتصالهما بالكلمة ، ربما أدى ذلك، في بعض الكلمات إلى اجتماع أربع متحركات وأكثر نحو: لسيجد ، ولسيتعلم ؛ ولذلك سكن آخر الفعل مع الفاعل ، أو ما في حكمه نحو : ضربته ، وكثيرا ما يهربون من هذا الثقل ، فطرحوا دخول اللام على السين =

لكن معناه فى الآية الكريمة للتأخير، وجاء المزج بين الحرفين للدلالة على أن عطاء الله – عزّ وجلّ – لنبيه محمد دائم متجدد حتى وإن تأخر، وقد علّق الزمخشري ت ٥٣٨ هـ على هذا التركيب بقوله ": (اللام الداخلة على سوف هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك، وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء، فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ، فبقى أن تكون لام ابتداء ، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ و الخبر ؛ فلابد من تقدير مبتدأ وخبر، وأن يكون أصله : ولأنت سوف يعطيك فإن قلت : ما معنى الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير ؟.

قلت: معناه أن العطاء كائن لامحالة وإن تأخر ، لما فى التأخير من المصلحة " . (١)

و ما من شك في أن هذا المعنى يتناغم مع الدلالة النفسية للسورة الكريمة والتي تتمثل فى بث الطمأنينة فى قلب النبي محمد – ﷺ – وإشعاره بالهدوء . كيف لا ؟ وعطاء الله – عزّ و جلّ– له دائم متجدد .

واللافت للنظر في هذا التركيب هو دور السياق فى تغيير دلالة الحرف (سوف) من حرف تنفيس – وهي الدلالة الأصلية – إلى معنى التأخير، وهو المعنى المراد من الآية الكريمة، كما يظهر دور السياق فى تغيير دلالة الحرف

=

: الجنى الداني في حروف المعاني لأبى محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي تح د / فخر الدين قباوة ، أ/ محمد نديم فاضل صـ ٤٥٩ ، ٤٦٠ دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢ م .

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٧٦٧/٤ دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ – يتصرف.

من وجه آخر، فالحرف (سوف) إذا كان فى قصة المؤمنين فمعناه الوعد ، وإذا كان فى قصة المشركين ، فمعناه الوعيد . [١]

وقد علّق السمرقندي ت ٣٧٣ هـ على التعبير بالحرف (سوف) فى الآية الكريمة بقوله : " وسوف من الله تعالى واجب ".[٢]

ومن ثم فان الحرف (سوف) قد تغيرت دلالته من تنفيس إلى معنى الوعد فى حق النبي – ﷺ –

(٢) التعبير بصيغة المضارع فى قوله تعالى (يعطيك) فيبدو للمتأمل في الآية الكريمة أن التعبير بصيغة المضارع هنا جاء للدلالة على امتداد عطاء الله – سبحانه وتعالى – لنبينا الكريم، وتعدد نعمه عليه ، وقد تمثل هذا العطاء وتلك النعم فى النصر والتمكين والظهور على مشركي مكة فى الدنيا وامتدت نعمه عليه لتشمل علو المنزلة والشفاعة لقومة والمؤمنين في الآخرة . [٣]

الأمر الذي يبرز دور الدلالة النحوية فى التركيب .

(٣) إسناد الفعل يعطي إلى لفظ (رَبُّكَ) يوحي بعظم عطاء الله – عزّ و جلّ– للنبي محمد – ﷺ – وإشعاره بأنه فى ظلال معية الله .

(٤) دلالة الإضافة في قوله (رَبُّكَ) فإضافة لفظ (رب) إلى ضمير الخطاب (الكاف) العائد على النبي تشعر نبينا الكريم بالأنس ولذة القرب من الله – جل وعلا–

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمى تح نور الدين طالب ٧/ ٣٨٧.

(٢) بحر العلوم ٥٩٢/٣ .

(٣) ينظر تفسير السمعاني ٦/ ٢٤٤ ، وفتح الرحمن فى تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمي تح نور الدين طالب ٣٨٧/٧ .

(٥) تكرار ذكر ضمير الخطاب (الكاف) العائد على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– في الآية الكريمة والآيات السابقة عليها فى (ودّعك – ربك – خيرلك – يعطيك – ربك) .

ويبدو لكل ذي عينين ما يحدثه هذا التكرار من انعكاس الرضا والهدوء النفسى على قلب النبي محمد .

(٦) عطف جملة (فترضى) على جمله (يعطيك ربك) – فكانت بمثابة النتيجة لها – فيه من الدلالات والإيحاءات النفسية ما يبيِّن ثناء الله – عزّ و جلّ– على نبيه محمد – والذى يظهر جليا في رفعة شأنه وعلو منزلته عند ربه ، ويبدو هذا من وجهين :

الأول : العطف بحرف (الفاء) الذي يفيد التعقيب أي سرعه حدوث الرضا القلبي لدى نبينا الكريم عقب الأحداث والنوازل التي مرت به مما يعكس شدة يقينه بالله – عزّ و جلّ– حتى فى أصعب مشاهد حياته والمتمثلة في تكذيب المشركين له وادعاءاتهم الباطلة من إعراض المولى – سبحانه وتعالى عنه ، ومجافاته له والعياذ بالله .

والآخر: حصول نعمة الرضا للنبي محمد ﷺ – دون أن يطلبها وهذه مكانة لم يبلغها أحد من البشر، ولك أن توازن بين ما جاء فى حق نبينا الكريم – من حصول نعمة الرضا له – وما جاء فى حق نبي الله موسى – عليه السلام – قال تعالى ﴿وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضَىٰ﴾.[1]

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يدرك علو منزلة النبي محمد – ﷺ – عند ربه وتكريمه له في الدنيا والآخرة ، وما ينتظر أمته من حسن العاقبة وشفاعة النبي لهم يوم القيامة ؛ الأمر الذي دفعه لأن يصف هذه الآية بأنها أرجى آية

(١) سورة (طه) من الآية ٨٤

فى القرآن، فقد رُوي عن بعض المفسّرين أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ليس في القرآن أرجي من قوله ﴿ وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَىٰ﴾.

ولا يرضى رسول الله – ﷺ – أن يدخل أحد من أمته النار) هذا معنى قوله المروي عنه[١]

ثم انتقل النظم القرآني إلى المحور الدلالي الثالث في السورة الكريمة وهو ذكر منن المولى – سبحانه وتعالى – على نبينا الكريم فقد عدَّد السياق القرآني نعم الحق – عزّ و جلّ– على نبيه محمد – ﷺ – فجاء قوله تعالى ﴿ أَلَم يَجِدكَ يَتِيما﴾ ومعنى (يجدك) هنا : قد وجدك ، ودليله عطف قوله ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّا ﴾ عليه . [٢]

وفسّر الزمخشري الفعل (يَجِدكَ) بأنه من الوجود الذي بمعنى العلم..... والمعنى ألم تكن يتيما . [٣]

وفي لفظ (يَتِيما) وجهان :

أحدهما: أنه أراد يتم الأبوة بموت مَن فقده من أبويه، فعلى هذا فى قوله تعالى (فآوى) وجهان : أحدهما: أي جعل لك مأوى لتربيتك، وقيما يحنو عليك ويكفلك وهو أبو طالب بعد موت عبد الله وعبد المطلب، قاله مقاتل. والآخر [٤] أي جعل لك مأوى نفسك ، وأغناك عن كفالة أبى بكر، قاله الكلبي .

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبى طالب تح مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة ٨٣٢٦/١٢ مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – ط ١٤٢٩,١ هـ ٢٠٠٨ م .

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن ٧/ ٣٨٨ .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٧٦٧ .

(٤) وردت بلفظ الثاني والصواب الآخر ، لأنه ليس هناك ثالث. ينظر النكت والعيون ٢٩٣/٦ .

والوجه الآخر: أنه أراد باليتيم الذي لا مثيل له ،فعلى هذا في قوله (فَآوَىٰ) وجهان :

أحدهما : فآواك إلى نفسه واختصك برسالته . الآخر: أن جعلك مأوى الأيتام بعد أن كنت يتيما وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولا ، تذكيرا بنعمه عليك، وهو محتمل. (١)

واستهلال الآية الكريمة بأسلوب الاستفهام هنا له أثره النفسي من إدخال السرور على قلب نبينا الكريم، فالمولى سبحانه وتعالى يبعث رسالة آلهية إلى نبيه محمد– ﷺ – ما كان لى لأتركك بعد أن تكفلت بك صبيا ، وحفظتك من اليتم، ونوع الاستفهام هنا تقريري الغرض منه طمأنة قلب النبي.

ثم تأمل عطف جملة (فآوى) على جملة (يجدك يتيما) بحرف (الفاء) الدال على التعقيب والذي يشعرك بأن الحق– عزّ و جلّ– لم يشعر نبيه الكريم بألم اليتم ومرارة الفقد، فسرعان ما هيّأ الله له المأوى بعد فقد أبيه .

وإذا أنعمت النظر في الفعل (آوى) بدا لك جمال النظم القرآني وروعته في إيثار استخدام الفعل دون غيره من الأفعال الأخرى ، ويكمن السر فى التعبير بالجذر (آوى) هنا ؛ لدلالته على معاني التجمع والرحمة والإشفاق، فقد ورد فى العين:" تقول العرب: أوى الإنسان إلى منزله يأوي أُوِيّاً وإواء والأُوِيُّ: أحسن، وآويتُهُ إيواءً. والتّأوّي: التّجمّع..... وتقول: أويت لفلانٍ آوي أويةً وأيّةً ومأويةً ومأواةً إذا رحمته ورثيت له. (٢)

(١) النكت والعيون للما وردي ٦/ ٢٩٤ .

(٢) العين للخليل بن أحمد تح د/ مهدى المخزومي ، د/ إبراهيم السامرائي ٤٣٨،٤٣٧/٨ (وي أ) دار ومكتبة الهلال . د ت .

وقال ابن فارس:" الْهَمْزَةُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا التَّجَمُّعُ، وَالثَّانِي الْإِشْفَاقُ. قَالَ الْخَلِيلُ: يُقَالُ: أَوَى الرَّجُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَآوَى غَيْرَهُ أُوِيًّا وَإِيوَاءً ..... وَالْأَصْلُ الْآخَرُ [١]: قَوْلُهُمْ: أَوَيْتُ لِفُلَانٍ آوِي لَهُ مَأْوِيَةً، وَهُوَ أَنْ يَرِقَّ لَهُ وَيَرْحَمَهُ".[٢]

فالجذر (آوى) يدور معناه حول معاني التجمع والرحمة والشفقة، ويبدو لكل ذي عينين الإيحاءات النفسية للفعل في الآية الكريمة وأثرها على نفس النبي محمد– صلى الله عليه وسلم – من الاستقرار النفسي والطمأنينة فهو في ظلال معية الله – سبحانه وتعالى – فكيف لمن كان فى ظلال معية اللهه – تعالى – أن يتركه ربه أو يعرض عنه ؟

والأمر اللافت للنظر في قوله تعالى (فآوى) هو حذف ضمير الخطاب (الكاف) ومعناه : أي آواك إلى عمك بعد موت أبيك. [٣]

وقد تنبّه الزمخشري لحذف الضمير هنا كاشفا النقاب عن علة حذفه بقوله :" حذف الضمير فى (قلى) كحذفه من (الذاكرات) في قوله تعالى ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ . [٤] ونحوه (فآوى....فهدى..... فأغنى) وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف" . [٥]

(١) وردت بلفظ الثاني والصواب الآخر؛ لأنه ليس هناك ثالث ولا رابع بنظر مقاييس اللغة لابن فارس تح عبد السلام محمد هارون ١/ ١٥١ دار الفكر ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م

(٢) السابق ١/١٥١، ١٥٢

(٣) فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمى تح نور الدين طالب ٧/ ٣٨٨

(٤) سورة (الأحزاب) من الآية (٣٥)

(٥) الكشاف للزمخشري ٤/ ٧٦٦

وزاد ابن عاشور:" إن فيه رعاية على الفواصل" . [١]

لكن المتأمل في حذف الضمير هنا من الفعل (فآوى) يدرك أن السر في حذفه هنا هو توسيع الدلالة، فالحق – سبحانه وتعالى – يشير إلى – أنه آوى نبيه الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – وآوى به الضعفاء والفقراء ممن آمنوا به ، ولجأوا إليه والتفوا حوله إيمانا بدعوته وهربا من بطش المشركين، فكأن المعنى : آواك وآوى بك الضعفاء والبسطاء والعبيد، وهذا ما ألمح اليه الماوردي بقوله مفسّرا قوله تعالى – (فآوى) جعلك مأوى الأيتام بعد أن كنت يتيما، وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولا ." [٢]

وحذف الضمير في قوله تعالى (فآوى) يبرز جمال النظم القرآني وروعة التعبير فيه، فللحذف دلالة قد تفوق دلالة الذكر ليس هذا فحسب بل تزيد المعنى جمالا وتصويرا ، فدلّ حذف الضمير هنا

على أن الحق– سبحانه وتعالى – آوى اليه محمدا ، كما صوّر نبينا الكريم – ﷺ – مأوى الأيتام، وكفيل الأنام ، فحذف الضمير هنا جاء لتوسيع الدلالة، ومن الثابت بلاغيا ان حذف المفعول يفيد العموم

والشمول .

واستمرارا لذكر نعم الله – عزّ و جلّ – على نبيه محمد جاء قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ﴾ وقد فسّر العلماء الضلال في الآية الكريمة بالغفلة عن النبوة والشرائع ، فسّره الزجاج بقوله ": أنه لم يكن يدري القرآن ولا الشرائع، فهداه الله إلى القرآن وشرائع الإسلام".[٣] وعلّق الواحدي ت ٤٦٨ هـ على لفظ (ضالا)

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٠٠

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٩٤

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج تح عبد الجليل عبده شلبي ٣٣٩/٥ ، ٣٤ عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م

مع (ووجدك ضالاً) عن معالم النبوة ، وأحكام الشريعة ، غافلا عنها ، فهداك إليها . [١] وفسّره السمعاني ت ٤٨٩ هـ بقوله" : أي غافلا عن النبوة والوحي الذى أنزل إليه ".[٢]

إلا أن النفس تطمئن إلى ما ذكره ابن عطية ت ٥٤٢ هـ فى تفسير الضلال هنا إذ قال : "والصواب أنه ضلال من توقف لا يدري ".[٣]

فالضلال : عدم الاهتداء الى الطريق الموصل إلى مكان مقصود سواء سلك السائر طريقا آخر يبلغ إلى غير المقصود أم وقف حائرا لا يعرف أي طريق يسلك ، وهو المقصود هنا؛ لأن المعنى : أنك كنت في حيرة من حال أهل الشرك من قومك ، فأراكه الله غير محمود وكرهه اليك ولا تدري ماذا تتبع من الحق ..... فليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل ؛ فإن الأنبياء معصومون من الإشراك قبل النبوءة . [٤]

كما أدّى عطف جملة (فهدى) على جملة (وجدك ضالا) بحرف الفاء الذي يفيد التعقيب دورا دلاليا كبيرا، فالعطف بالفاء يوحي بسرعة حدوث الفعل، وهو الهداية إلى الحق المتمثل فى الهداية إلى النبوة وشريعة الإسلام .

والمتأمل فى الآية الكريمة يدرك ذلك التماسك النصي العجيب " بين سور القرآن الكريم، يظهر هذا التماسك جليا بين هذه الآية الكريمة وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ رُوحا مِّن أَمرِنَا مَا كُنتَ تَدرِي مَا ٱلكِتَٰبُ وَلَا ٱلإِيمَٰنُ﴾. [٥]، وقد

(١) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٤/ ٥١٠ .

(٢) تفسير السمعاني ٢٤٥/٦

(٣) المحرر الوجيز لا بن عطية الأندلسى تح عبد السلام عبدالشافي محمد ٤٩٤/٥ دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠/ ٤٠٠ .

(٥) سورة الشورى من الآية ٥٢.

ألمح إلى هذا التماسك النصي السمعاني بقوله معلّقا على الآية: وأولى الأقاويل أن يكون محمولا على الشرائع، وما أنزل الله مثل قوله سبحانه وتعالى (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) . [١]

وتتابعت الآيات الكريمة في ذكر نعم الحق – عزّ و جلّ – علي نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – فجاء قوله تعالى (وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَى)، وقد اختلفت أقوال المفسرين فى قوله : (عائلا) ففسّره السمرقندي بقوله ": (وجدك فقيرا بلا مال ، فأغناك بمال خديجة. ويقال: وجدك فقيرا عن القرآن والعلم، فأغناك يعني : أغنى قلبك، وأرضاك بما أعطاك ".[٢]

وذكر الماوردي في دلالة لفظ (عائلا) أربعة أوجه:

أحدها : وجدك ذا عيال ، فكفاك . قاله الأخفش.....

الثاني : فقيرا ، فيسّر لك قاله الفراء..... الثالث : أي وجدك فقيرا من الحجج والبراهين، فأغناك بها. الرابع: ووجدك العائل والفقير، فأغناه الله بك ".[٣]

ووسّع الكلبي دلالة لفظ (عائلا) بقوله : "رضاك بما أعطاك من الرزق ، واختاره الفراء ، فقال : لم يكن غني عن كثرة المال، ولكن الله رضاه بما أتاه وذلك حقيقة الغنى". [٤]

(١) ينظر تفسير القرآن للسمعاني ٢٤٥/٦.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ٣/ ٥٩٢ .

(٣) النكت والعيون ٢٩٤/٦، ٢٩٥ .

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥١١/٤

وبرهن عطف جملة (فأغنى) على جملة (ووجدك عائلا) بحرف الفاء الدال على التعقيب على أن عطاء الله – سبحانه وتعالى – لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– لم يكن ليتأخر.

وجاء التعبير بالفعل (أغنى) للدلالة على الشمول والإحاطة، فكان الأقدر على تحقيق معنى شمولية العطاء ، فشمل الرزق والغنائم ، والبراهين والمعجزات ، وهذا ما أشار إليه مجير الدين العليمي بقوله:" (فقنّعك بما أعطاك من الغنائم والرزق) .[١]

ومما زاد الآية جمالا في التعبير، ودقة في التصوير حذف ضمير الخطاب (الكاف) من قوله تعالى (فأغنى) والذي أفاد توسيع الدلالة ، فحذف الضمير هنا أفاد أن المولى – جل وعلا – أغنى نبيه محمدا وأغنى به المؤمنين وهذا ما عبّر عنه الماوردي في أحد تفسيراته لقوله تعالى (فأغنى) قائلا:" ووجدك العائل الفقير، فأغناه الله بك ".[٢]

وعند قول الحق – سبحانه وتعالى – ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾ انتقل النظم القرآني في السورة الكريمة إلى المحور الدلالى الرابع ، وهو بيان وصايا الحق – عزّ وجلّ– لنبيه محمد – ﷺ –

فبعد أن ذكر الحق سبحانه وتعالى – نعمه على نبيه محمد– ﷺ – وجّه إليه عدة وصايا تتسق مع النعم سالفة الذكر، فأوصاه باليتيم والفقير في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ الفاء الأولى فصيحة .

(١) فتح الرحمن فى تفسير القرآن ٣٨٨/٧

(٢) النكت والعيون ٢٩٥/٦

و(أما) حرف تفصيل يفيد شرطا مقدرا تقديره : مهما يكن من شيء . [١]، فكان مفاد (أما) مشعرا بشرط آخر مقدر هو الذى اجتلبت لأجله فاء الفصيحة ، وتقدير نظم الكلام إذ كنت تعلم ذلك ، وأقررت به فعليك بشكر ربك ، وبَين له الشكر بقوله ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَر.....الخ .....،﴾ وصدر الكلام بـ (أما) التفصيلية؛ لأنه تفصيل لمجمل الشكر على النعمة[٢] واليتم : الانفراد عن يعقوب . واليتيم : الفرد . واليتم واليتم : فقدان الأب، وقال ابن السكيت:" اليتم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم. ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ، ولكن منقطع ". قال ابن بري ": اليتيم الذي يموت أبوه ، والعجي: الذي تموت أمه، واللطيم : الذى يموت أبواه ".[٣]

وفسّر كل من الفراء ت ٢٠٧ هـ والزجاج ت٣١١ هـ القهر الوارد في الآية الكريمة بالظلم، وعدم توفية اليتيم حقه قائلين : " لا تقهره على ماله " . [٤]

وتابعهما السمرقندي ت ٣٧٣ هـ فى ذلك بقوله : " ومعنى قوله (فَلَا تَقهَر) لا تظلمه، وادفع إليه حقه، ويقال معناه : واذكر يتمك ، وارحم اليتيم ..... وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ (فأما اليتيم فلا تقهر) يعني : لا تعبس فى وجهه . [٥]

(١) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك لبدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك تح محمد باسل عيون السود صـ ٥٠٩ – دار الكتب العلمية ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠ / ٤٠١ الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ م بتصرف

(٣) لسان العرب ٥٠٩/٦ (يتم)

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥١١/٤

(٥) بحر العلوم ٥٩٢/٣

وقال الفراء، والزجاج": لا تقهره على ماله ، فتذهب بحقه لضعفه . وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى : تأخذ أموالهم، وتظلم حقوقهم ، وكان رسول الله – ﷺ – يحسن إلى اليتيم ويبره ، ويوصى باليتامى" . (١)

والغرض من أسلوب النهي هنا التحريم والتحذير من مغبة ظلم اليتيم والنيل منه، وترقيق القلوب تجاهه، ولعل امتداد صوت الألف في الحرف (لا) يضاهى امتداد التحذير من الإساءة إليه ، فالآية الكريمة تحضّ على عدم ظلم اليتيم وتحقيره ، وتحثّ النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين على إكرام اليتيم والعناية به ، والمحافظة على ماله أشار إلى هذا السمعاني معلّقا على الآية بقوله: "أي تحتقره، والمعروف لا تظلمه أي تأخذ حقه وتتقوى به ، وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك في أموال اليتامى ".(٢)

وتمثلت الوصية الثانية في قوله تعالى (وأما السائل فلا تنهر) جاء لفظ (أما) حرف التفصيل لتوجيه هذه الوصية بإزاء الآية الكريمة ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ﴾ وليس المقصود بالسائل هنا الذى يطلب الطعام أو المال تحديدا، ولكن دلالته تنصرف إلى السائل في العلم والدين، فقد حكى السمعاني عن الحسن البصري أنه قال معلقا على لفظ السائل " محمول على سائل العلم دون سائل الطعام " . (٣)

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥١١/٤

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٢٤٦/٦

(٣) السابق نفسه ٢٤٦/٦

وأكّد ابن عطية هذا المعنى بقوله : " هذا عليه قول من قال: إن السائل هنا هو السائل عن العلم والدين وليس بسائل المال ، وهو قول أبي الدرداء والحسن وغيره " . (١)

وفسّره الواحدي بالمحتاج فقد قال: " قال المفسرون: يريد السائل على الباب: يقول : لا تنهره إذا سألك ، فقد كنت فقيرا ، فإما أن تطعمه، وإما أن تردّه ردّا لينا".(٢)

والنفس تطمئن إلى تفسير أبي الدرداء والحسن البصرى للفظ السائل بأنه السائل عن العلم والدين؛ لأنه الأنسب للسياق ، فالسؤال هنا ليس عن أمر مادي أو احتياج جسدي، وإنما السؤال عن أمر معنوي ، عقدي أو علمي – تستقيم به الحياة، فهو أبلغ من أن يكون أمرا حسيا يتجسد فى المال أو الطعام ، وهذا هو المفهوم من سياق الآيات حيث جاءت الوصية في الآية الكريمة بإزاء النعمة فى قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ﴾ ، وحدّد السمرقندي ت٣٧٣هـ دلالة الفعل (تنهر) بالإيذاء والزجر والإعراض بقوله :" يعني لا تؤذه ولا تزجره ، ويقال : معناه : واذكر فقرك ، ولا تزجر السائل ولا تنهره ، وردّه ببذل يسير، وبكلمة طيبة".(٣)

وفسّره قتادة بالحث على الإحسان إلى السائل ومعاملته برفق ولين ، فقد قال : معلّقا على قوله تعالى ﴿فَلَا تَنهَر﴾ ردّ السائل برحمة ولين " . (٤)

(١) المحرر الوجيز لابن عطية تح عبد السلام عبد الشافي محمد ٤٩٥/٥

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٥١٢/٤

(٣) بحر العلوم ٣/ ٥٩٢

(٤) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٥١٢/٤

ومن ثم فقد جاءت دلالة المفسرين موافقة الواقع اللغوي، فقد تلاقت آراؤهم مع الدلالة المعجمية للجذر (نهر) : فقد ورد فى اللسان: " نهر الرجل ينهره وانتهره : زجره . وفي التهذيب نهرته وانتهرته إذا استقبلته بكلام تزجره عن خبر".(١)

أما الوصية الثالثة فقد تمثلت فى قوله ﴿ وَأَمَّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث﴾ أما حرف تفصيل ، حيث وجّه هذه الوصية فى الآية الكريمة بإزاء قوله سبحانه وتعالى – ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلا فَأَغنَىٰ﴾ .

وقد فسّر السمرقندي لفظ (نعمة) فى الآية بالكرامة أو القرآن إذ قال : "يقال: معناه فحدّث الناس بما آتاك الله من الكرامة ، ويقال : معناه: اجهر بالقرآن في الصلاة". (٢)

وذكر الواحدي ثلاثة معان للفظ (نعمة) الوارد في الآية الكريمة وهي القرآن والنبوة ، وجميع ما أنعم الله – عزّ وجلّ– به على نبيه الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد قال: " قال مجاهد: بالقرآن، وروى أبو بشر عن مجاهد : قال النبوة التي أعطاك ربك، واختاره الزجاج ، فقال : أي بلغ ما أرسلت به ، وحدّث بالنبوة التي آتاك الله ، وهي أجلّ النعم. وقال مقاتل: يعني اشكر لما ذكر من النعمة عليك ، في هذه السورة من الهدى بعد الضلالة، وجبر اليتيم ، والإغناء بعد العيلة، فاشكر هذه النعم، والتحدث بنعمة الله شكر" . (٣)

لكن المتأمل في الآية الكريمة يدرك أن المراد بلفظ (نعمة) هو نعم الله جميعها، وهذا مستفاد من أمور كثيرة وهى :

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٦٥/٦ (نهر)
(٢) بحر العلوم ٣/ ٥٩٢
(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٥١٣/٤

١- إضافة لفظ (نعمة) إلى (رب) وما تفيده من التعظيم وهو ما يبرز قيمة الدلالة النحوية المتمثلة في دلالة الإضافة .

أن السورة الكريمة جاءت في ذكر نِعم الله – عزّ و جلّ– على نبيه محمد – ﷺ – مما يدل دلالة قاطعة على عموم النعمة ، فهي غير محددة .

٢- عدم التصريح بلفظ النعمة في الآيات الكريمة السابقة ، وان كان هناك ما يدل على عمومها بذكر لوازمها من العطاء والرضا، والإيواء، والهداية، والإغناء .

٣- الاختلاف في تفسير لفظ (نعمة) من قبل المفسرين ما بين النبوة والقرآن ، وجميع ما أصاب النبي من نعم .

٤- دلالة قوله تعالى (فحدّث) الذي يعني الشكر ، فدل ذلك على عموم النعمة وعدم قصرها على نعمة معينة ، وهذا ما أشار إليه الواحدي بقوله : "والتحدث بنعمة الله شكر ".[١]

وأكّده السمعاني معلقا على قوله تعالى (فحدّث) :" أي أظهر الشكر".[٢]

وزاد النيسابورى تفسير الفعل (فحدّث) وضوحا بقوله ": قال المحققون : التحديث بنعم الله – تعالى – جائز مطلقا بل مندوب إليه إذا كان الغرض أن يقتدي غيره به ، أو أن يشيع شكر ربه بلسانه ، وإذا لم يأمن على نفسه الفتنة والإعجاب فالستر أفضل".[٣]

(١) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ٥١٣/٤

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٢٤٦/٦

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى تح الشيخ زكريا عميرات ٥١٩/٦ دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤١٦ .

المبحث الثاني : – الدلالة النفسية للتراكيب

افتتحت سورة الضحى بأسلوب القسم الدال على تكريم النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وتعظيمه، فقال تعالى ﴿وَٱلضُّحَىٰ . وَٱلَّيلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ حيث أقسم الحق – سبحانه وتعالى – بوقتي الضحى والليل لما فيها من عظيم المنافع ، فقد اختص المولى – عزّ و جلّ– نبيه بالصلاة في هذين الوقتين، وفي هذا الاستهلال دلالة على إثبات الكرامة لنبينا الكريم ، أشار إلى ذلك ابن عرفة بقوله " : (قال عياض فى الشفاء : تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له يقصد النبي– ﷺ – وتعظيمه إياه ستة أوجه : الأول : القسم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى ﴿ وَٱلضُّحَىٰ . وَٱلَّيلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي ورب الضحى. وهذا من أعظم درجات المبرة " . (١)

ثم جاء جواب القسم في قوله تعالى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ مكذبا مشركي مكة فيما ادعوه كفرا وعنادا من أن محمدا قد ودّعه ربه وأبغضه ، وهذا ما عبّر عنه الزجاج بقوله : ومعنى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي لم يقطع الوحي عنك ولا أبغضك، وذلك أنه تأخر الوحي عن رسول الله – ﷺ – خمسة عشر يوما، فقال : ناس من الناس : إن محمدا قد ودّعه صاحبه وقلاه فأنزل الله ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ المعنى : ما قلاك . (٢)

ومما لاشك فيه أن في جواب القسم تثبيتا لقلب نبينا الكريم – صلوات ربي وسلامته عليه – أما قوله تعالى ﴿وَلَلآخِرَةُ خَير لَّكَ مِنَ ٱلأُولَىٰ﴾ فقد جاءت الآية تعليلا لسابقتها، فقد تحدثت عن تكريم الله – عزّ و جلّ– لنبيه محمد من علو

(١) تفسير ابن عرفة ٣٣٥/٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٣٩/٥ .

الشأن والرفعة فى الدنيا، وما ينتظره من عظيم المآل في الآخرة من حسن الثواب والشفاعة للمؤمنين، وهذا ما عبّر عنه ابن عرفة بقوله ": مآلك عندنا أعظم مما أعطيت من كرامة الدنيا ".[١]

والمتأمل فى الآية الكريمة يدرك أنها تحمل البشارة من الله – جل وعلا – بأن عطاءه لنبيه دائم لا ينقطع مما له أبلغ الأثر فى إشعار النبي محمد– صلى الله عليه وسلم – بأنه فى ظلال معية الله .

وجاء قوله تعالى ﴿وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَىٰ﴾ تأكيدا للآية السابقة، فاللام في تركيب (ولسوف) لاتجعل زمن المضارع هنا للحال ، وإنما تجعله للمستقبل بقرينة السياق، فلا تعارض بينها وبين سوف . [٢]

فقد دل التركيب على عظم عطاء الله – سبحانه وتعالى – لنبينا الكريم والمتمثل في النصر على المشركين وإظهار الدين فى الدنيا، والحوض والشفاعة في الآخرة ،. وقد أشار إلى ذلك السمرقندى بقوله معلقا على الآية الكريمة : " (أي يعطيك ثواب طاعتك حتى ترضى ..... ويقال : ولسوف يعطيك الحوض ، والشفاعة حتى ترضى"[٣]

وأكّد السمعاني ت ٤٨٩ هـ المعنى نفسه قائلا: " أي من الثواب والكرامة والمنزلة، وقيل: إنه الشفاعة لأمته ".[٤]

ولا يخفى ما في هذه الآية الكريمة من تسرية للنبي صلى الله عليه وسلم – وطمأنة قلبه .

---

(١) تفسير ابن عرفة ٣٣٦/٤

(٢) النحو الوافى . عباس حسن ١/ ٦٦٢ هامش (٣) ، دار المعارف – الطبعة الخامسة عشرة – د ت

(٣) بحر العلوم ٥٩٢/٣ (يتصرف)

(٤) تفسير القرآن للسمعاني ٢٤٤/٦ .

أما قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ فقد جاء تدليلا على الآيات السابقة عليه، فبعد أن أثبت الحق – سبحانه وتعالى – الكرامة لنبيه ملقيا السكينة فى قلبه ذكر نعمه عليه، وعطاءه الدائم المتجدد له، فكانت هذه الآية أول الأدلة على أن محمدا كان في ظلال معية الله منذ أن كان صبيا صغيرا ، وقد ألمح السمرقندي إلى هذا بقوله ": يعني كنت يتيما ، فضمك إلى عمك أبي طالب، فكفاك المؤونة .

حين كنت يتيما ما ودعك ربك فكيف ودعك بعد ما أوحى إليك" . (١)

واذا أمعنت النظر فى الآية الكريمة يمكنك أن تستشعر جمال النظم القرآني فيها بدءا من استخدام أسلوب الاستفهام التقريري (ألم يجدك) فالمراد بالاستفهام فى الآية الكريمة التقرير بمعنى التحقيق والإثبات .

ومجيء التحقيق في صورة الاستفهام فيه تنبيه للمخاطب وحثّ له إلى تدبر الأمر وتأمله. (٢)

ومما لاشك فيه أن استخدام أسلوب الاستفهام هنا يوحي بأن الهدوء النفسي الذي ألقاه المولى – عزّ وجلّ– فى نفس نبيه محمد – ﷺ – قد صادف يقينا قلبيا من النبي ، مرورا بما تعكسه دلالة الفعل (وجد) فى الآية، فهو من الوجود الذي بمعنى العلم . (٣)

ولا يخفى ما يشتمل عليه الفعل من معاني العناية والحفظ، فكان النبي محاطا بعناية الله، وانتهاء بإيثار التعبير بالفعل (آوى) الذي يشعر بمعاني الضم

(١) بحر العلوم ٥٩٢/٣ .

(٢) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني د/ بسيوني عبد الفتاح فيود صـ ٣٢٣ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع – الأحساء ، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

(٣) الكشاف للزمخشري ٧٦٧/٤ .

والكفالة والحماية، وما يحدثه فى نفس النبي – محمد ﷺ – من السلام النفسى والثبات الانفعالي لمَ لا وهو في ظلال معية الله و عنايته.

وتتابعت الآيات الكريمة في ذكر نعم الله – جل وعلا– على نبينا الكريم ، فجاء قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ﴾ الذى يحمل في طيّاته تجدّد عطاء الله – سبحانه وتعالى – لنبيه محمد، فكتب له الهداية كما هدى الخلق إليه وبه، وهذا ما أشار إليه السمرقندي بقوله معلقا على الآية الكريمة ": يعني حفظك من أمرهم ، وعن أخلاقهم ، ويقال : ووجدك بين قوم ضلال ، فهداهم بك " . (١)

واستكمالا لمنن الحق – عزّ و جلّ– على رسولنا الكريم – صلوات ربي وسلامه عليه – جاء قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ فالتركيب يدلّ دلالة واضحة على أن الغنى المقصود في الآية الكريمة ليس كثرة المال ، فمعناه أن الله – سبحانه وتعالى – أغنى نبيه محمدا بالنبوة ، والقرآن، والحجة والبراهين، فقد ورد في الوسيط : قال الكلبي ": أرضاك بما أعطاك من الرزق، واختاره الفراء ، فقال : لم يكن غنى عن كثرة المال، ولكن الله أرضاه بما آتاه ، وذلك حقيقة الغنى." (٢)

وزاد الماوردي التركيب وضوحا بقوله : " أي وجدك فقيرا من الحجج والبراهين، فأغناك بها ".(٣)

وبعد أن ذكر المولى – عزّ و جلّ– نعمه على النبي محمد – ﷺ – وجّه إليه ثلاث وصايا تتناسب دلاليا .

(١) بحر العلوم ٥٩٢/٣ .

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥١١/٤ .

(٣) النكت والعيون ٢٩٥/٦ .

مع نعمه المذكورة في الآيات الكريمة السابقة، مستخدما أسلوب النهي تارة، والأمر تارة أخرى، فجاء أسلوب النهي في الآيتين الكريمتين ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ. وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾، فعبّر النظم القرآني بأسلوب النهى محذرا من ظلم اليتيم، ومرشدا إلى ضرورة المحافظة على ماله، ودفع حقوقه إليه، ومنبها على ضرورة إحسان معاملة السائل، وردّه بلطف ولين ، ولمّا كانت (أمّا) بمعنى : ومهما يكن من شيء ؛ قرن جوابها بالفاء ، واليتيم مفعول لفعل (فلا تقهر) وقُدّم للاهتمام بشأنه ..... وقد قوبلت النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل بثلاثة أعمال تقابلها . فيجوز أن يكون هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب . [١]

وهذا ما أشار إليه ابن عطية بقوله : " وكما عدّد الله– عليه – يقصد النبي محمدا – صلى لله عليه وسلم – هذه النعم الثلاث وصّاه بثلاث وصايا في كل نعمة وصية مناسبة لها، فبإزاء قوله تعالى ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ قوله ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ و بإزاء قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ قوله.

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ هذا عليه قول من قال : إن السائل هنا هو السائل عند العلم والدين، وليس بسائل المال ".[٢] ولا يخفى ما في أسلوب النهى من وجوب الالتزام .

ومن سنة البيان القرآني أنه قد ينهى عن شيء والنظم مسوق للأمر بضده سوقا أصليا، فيجعل النهي عن ذلك الشيء سبيلا للأمر بضده، فيكون من قبيل الدلالة الكنائية . [٣]

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٤٠١/٣٠

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٤٩٥/٥ .

(٣) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم د/ محمود توفيق سعد ص١٣٤ مطبعة الأمانة =

وورد أسلوب الأمر في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث﴾ الذي يدلّ دلالة قاطعة على ضرورة شكر نعم الله – سبحانه وتعالى – أشار إلى هذا الزمخشري قائلاً: " التحديث بنعمة الله: شكرها وإشاعتها. يريد: ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك" . (١)

وقد أدّى ترتيب التراكيب دورا دلاليا كبيرا في الآيات الكريمة في المحورين الأخيرين من المحاور الدلالية للسورة ، وقد أشار النيسابوري إلى هذا بقوله : "وقد روعي في الترتيب نكتة لطيفة ، فقدَّم في معرض المنة النعمة الدينية وهى الهداية على النعمة الدنيوية وهي الإغناء ، وأما في معرض الإرشاد ، فقدّم الإشفاق على الخلق ، وأخّر التحديث ليكون أدخل في الاستمالة وأجلب للدواعي ، فإنه ما لم ينتظم أمر المعاش لم تفرغ الخواطر لقبول التكاليف والتزام أمر المعاد . (٢)

=

الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م .

(١) الكشاف ٤/ ٧٦٩.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٥١٩/٦ .

المبحث الثالث :- الدلالة النفسية للفواصل

إن الإعجاز فى القرآن الكريم لا يقتصر على جمال صياغة النظم القرآني فحسب ، بل فيما يحدثه القرآن من مشاعر تؤثر فى نفس المتلقي، فدلالات الألفاظ والتركيب تثير الأحاسيس، وتشكل انطباع السامع وكذلك الحال لإيقاع الموسيقى للفواصل القرآنية، فلم تكن الفواصل في القرآن مجرد توافق

ألفاظ وأوزان، فهي بمنزلة متقدمة في التحكم بالصوت لجذب انتباه المتلقي نحو بؤر دالّة يمكن رصدها . (١)

فالمتأمل في سورة الضحى يجد دقة التعبير القرآني، ويلمس جمال وروعة النظم القرآني الذي يقفنا على الكثير من الدلالات النفسية من خلال فواصل آيات السورة الكريمة .

وبعد إنعام النظر في ألفاظ السورة الكريمة ، والتأمل في تراكيبها يمكنني الجزم بأنه لم تقصد الفاصلة فيها لذاتها ، وإنما جاءت تحقيقا لأبعاد دلالية تتفق مع سياق السورة ، فالفاصلة القرآنية ترتبط بالمعنى ؛فهى أساس في إنشاء المعاني، ولا تكون المعاني تابعة لها، وهى بذلك تخالف الأسجاع ، الفاصلة تابعة للمعنى في تتميمه ، فالمعنى لا يتم إلا بها ، وهكذا تبرز قيمتها ، بينما الأسجاع المعاني تابعة لها . كما ترتبط الفاصلة بجرس صوتي يبعث في النفس روح الانقياد والطاعة ، وهذه الخاصية لا تتوفر في كتاب كما تتوفر في القرآن الكريم . (٢)

---

(١) الفاصلة القرآنية دراسة في سبلها المغايرة وأثرها الأسلوبي د/ إياد عبدالودود الحمداني صـ ٨٨ جامعة ديالي – كلية التربية للعلوم الإنسانية د ت .

(٢) ينظر الفاصلة القرآنية والسجع . عبد الفتاح محمود المثنى صـ ١٣٦ دراسات علوم الشريعة والقانون الجامعة الأردنية ، المجلد ٣٧ العدد الأول ٢٠١٠ م ، وأسلوبية التوازي في القرآن الكريم سور هود – الحجر – الشعراء نموذجا د/ نسيمة بغدادي – رسالة =

فحروف الفاصلة (سجى) تعبر عن الليل أصدق تعبير فالهمس في صوت السين يضاهي سكون الليل ، أما صوت الجيم فيتميز بأنه شجري . [١]، فهو يحاكي الليل في معنى التغطية والستر .

قال الماتريدي معلّقا على الفعل (سَجَىٰ) في الآية الكريمة :" قال بعضهم : إذا سكن وركد، وقال بعضهم (إِذَا سَجَىٰ) إذا غشي وأظلم ، وغطى كل شيء وستر، وهو من التسجي والتستر، يقال : تسجى قبر المرأة ، إذا تستر وتغطى . [٢]وصوت الألف يتصف بالامتداد . [٣]، وهو ما يشبه امتداد ظلام الليل ، فقد روى ثعلب عن ابن الأعرابي (سَجَىٰ) امتد ظلامه . [٤]، وهذا ما يبرز دور الدلالة الصوتية .

وإذا أمعنت النظر في الفاصلة الثانية (وَمَا قَلَىٰ) أدركت أنها تصور علاقة القرب بين الحق – سبحانه وتعالى– ونبيه محمد– صلى الله عليه وسلم – يظهر هذا جليا فى ذكر ضمير الخطاب (الكاف) العائد على النبي محمد فى الفعل (وَدَّعَكَ) الدال على الحب والقرب؛ لأن التوديع أمارة المحبة[٥]. بينما حذف

=

دكتوراه – كلية الآداب واللغات – جامعة محمد بوضياف – الجزائر ٢٠١٦ / ٢٠١٧م .

(١) يراجع في ذلك: علم الصوتيات د/ عبد العزيز احمد علام ، د/ عبد الله ربيع محمود صـ ٢٦٥ مكتبة الرشد ناشرون – الرياض – المملكة العربية السعودية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، والأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس صـ ١٠٨ مكتبة الانجلو ١٩٩٥م

(٢) تفسير الماتريدي تح د / مجدي باسلوم ٥٥٧/١٠ .

(٣) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال ص١٧٧ مطبعة الجبلاوي الطبعة الثانية ٤٠٨ اهـ ١٩٨٨م.

(٤) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥٠٨/٤ .

(٥) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٤٨٠/١٦ .

الضمير فى قوله تعالى ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ لمّا كان الفعل دالا على البغض استهجانا لذكره مع معنى مذموم ، وهذا من شأنه إلقاء الطمأنينة في قلب نبينا الكريم.

وإذا تأملت في قوله تعالى ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ استلفت نظرك إيثار النظم القرآني التعبير بالفعل (قلى) دون أبغض ، أو كره، أو ترك ؛وذلك لأنه الأجدر على الجمع بين معنيي البغض والترك .

قال ابن سيده :" قَلَيْته قِلىً وقَلاءً ومَقْلِيَة: أَبْغَضْتُهُ وَكَرِهْتُهُ غَايَة الْكَرَاهِيَة فَتَرَكْتُهُ".(١)

إضافة إلى أن الفعل (قلى) هو الأوقع في مكانه ؛ لمجانسة الفعل (سجى) في الانسجام الصوتي الذي يظهر فى الجرس الموسيقي للفاصلة القرآنية، فالفعلان (سجى وقلى) يتفقان في التكوين المقطعي إذ تكون الفعلان من مقطعين:

الأول : مقطع من النوع الأول : ص ح(٢) وهو(س) من سجى) و(ق) من (قلى) .

والآخر: مقطع من النوع الثاني : ص ح ح --(٣) وهو(جى) من (سجى) و(لى) من (قلى) .

فالقاسم المشترك بين الفاصلتين هنا هو انتهاؤهما بحرف الألف وكذلك انتهاء الفعلين بمقطع من النوع الثانى.

(١) لسان العرب لابن منظور ٣١٦/٥ (قلي) دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) حرف (ص) إشارة إلى الصامت ، أما حرف (ح) فهو إشارة إلى الحركة .

(٣) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص١٦٤، وعلم الصوتيات د/ عبد العزيز احمد علام ، د/ عبد الله ربيع محمود صـ٢٨٠

وإذا كان النظم القرآني فى السورة الكريمة قد بدأ بالقسم من جانب المولى – عزّ وجلّ– على عظم شأن النبي محمد – ﷺ – وعلو مكانته عند ربه، وتكذيب مزاعم وافتراءات مشركي مكة، فإن سياق السورة قد انتقل إلى المحور الدلالي الثاني فيها وهو تكريم الحق – سبحانه وتعالى – لنبينا الكريم في قوله تعالى ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ فجاءت هذه الآية بمثابة رسالة إلهية.

من المولى – عزّ و جلّ– إلى نبيه محمد مفادها أن عطاءه له لا ينقطع أبدا حيا كان أو ميتا مما له أبلغ الأثر فى إشعار نبينا الكريم بأنه فى ظلال معية الله، فإن كانت نعمه على محمد لا تحصى ولا تعد فى مختلف مراحل عمره يتيما وشابا وعائلا، إلا أن العطاء الأكبر والكرامة المثلى ستكون في الآخرة. ويلاحظ في الفاصلة هنا (الأولى) انتهاؤها بحرف الألف أيضا، وكذلك استمرار تكرار انتهاء الفاصلة بمقطع من النوع الثاني ص ح ح -- (لى) .

ثم كان تمام التكريم لنبينا الكريم محمد – ﷺ – في قول الحق – جل وعلا – ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾، فقد أدّت الفاصلة القرآنية في الآية دورا دلاليا كبيرا من خلال التعبير بصيغة المضارع في الفعل (فترضى) الذي يدل على التجدد والحدوث، وفى هذا إشارة إلهية إلى استمرار عطاء الله لنبي البشرية وخير البرية محمد – ﷺ –

وإذا أنعمت النظر فى الفعل (ترضى) أدركت أنه يحاكي المعنى المراد من الآية ، فالفعل ختم بصوت الألف الذي يتميز بالامتداد واتساع المخرج معه . [1]

فكأن الفعل يصوّر امتداد عطاء الله – سبحانه وتعالى– لنبيه محمد.

(١) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس صـ ١١٨، وأصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال صـ ١٧٧.

ثم انتقل النظم القرآني إلى محور دلالي جديد من محاور سورة الضحى ، وهو ذكر نعم الله – سبحانه وتعالى – على نبيه محمد – ﷺ – في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ وإذا تأملت الفاصلة في الآية الكريمة (فآوى) أدركت أثرها الدلالي الذي يبدو واضحا من وجهين:

الأول : المحافظة على الجرس الموسيقي للفاصلة من خلال انتهاء الفعل بصوت الألف الذي يتميز بالامتداد واتساع المخرج حال النطق، وهو ما يتناغم مع المعنى المراد من الآية الكريمة التي دلت على أن النبي كان محاطا بعناية الله . والآخر: مجيء الفعل من دون ضمير الخطاب (الكاف) مما أسهم في توسيع الدلالة، فالمراد من الآية الكريمة . آواك وآوى بك الضعفاء والفقراء والأيتام من المؤمنين.

ومن الثابت بلاغيا أن حذف المفعول يفيد العموم والشمول، وهذا ما عبّر عنه الماوردي معلقا على الفعل (فآوى) بقوله ": أن جعلك مأوى الايتام بعد أن كنت يتيما، وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولا، تذكيرا بنعمه عليه، وهو محتمل ".[1]

فالمراد من قوله تعالى – (فآوى) فآواك وآوى بك وآوى إليك ، كما يلاحظ في هذه الفاصلة انتهاؤها

بمقطع من النوع الثاني أيضا (ص ح ح) وهو(وى) .

كما أدّت الفاصلة دورا دلاليا كبيرا في قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ . وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ حيث ختم الفعل فى الفاصلتين (فهدى)، (فأغنى) بصوت الألف ، ومن الثابت صوتيا أن صوت الألف يتميز بالوضوح السمعي والامتداد واتساع المخرج حال النطق به، فالألف لا تصادف حوائل أو موانع فى

(١) النكت والعيون ٦ / ٢٩٤

طريقها ، بل يمر النفس معها في مجرى خال من تلك الحوائل والموانع . [١]، ومن ثم فإن الوضوح في الألف يحاكي وضوح هداية الله – عزّ و جلّ– نبيه محمدا للنبوة وأحكام الشريعة رغم نشأته فى أحضان مجتمع يسوده الضلال، كما أن صفة الاتساع تصوّر سعة عطاء الله – سبحانه وتعالى – لنبينا الكريم ، فقد أغناه ربه بالنبوة والقرآن والهدى والرضا، فالغنى المقصود في الآية الكريمة هو غنى القلب، وهو ما يتفق مع الدلالة النفسية التي تخيّم على ألفاظ وتراكيب السورة وهي بثّ الطمأنينة فى قلب النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – فلم يقتصر عطاء الله على النبي محمد ، وإنما امتد ليشمل مَن آمن به من قومه، فالمراد من قوله (فهدى) هداك وهدى بك وهدى اليك ، وقد أشار الماوردي إلى حذف المفعول فى أحد تفسيراته لقوله (فأغنى) إذ قال : "ووجدك العائل الفقير فأغناه الله بك" . [٢]

ويلاحظ في الفاصلة فى الآيتين الكريمتين انتهاؤهما بمقطع من النوع الثاني أيضا (ص ح ح)، وهو (دى) من (فهدى) و (نى) من (فأغنى) .

أما بالنسبة لدلالة الفاصلة فى قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ .وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ فيبدو فيها جمال وعذوبة النظم القرآني، فتكرار حرفي الهاء والراء في الفاصلة في قوله تعالى (فلا تقهر) وكذلك قوله – عزّ و جلّ– (فلا تنهر) أحدث جرسًا موسيقيا رائعا، وهو ما يعرف عند البلاغيين بالتوازي ، والتوازي : تعادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج أو شطري البيت الواحد من حيث الإيقاع والوزن ، ليأخذ منحى متطورا وتجديديا ينطلق فيه بعض العلماء من الجانب النحوي والصرفي وتكرار القاعدة اللغوية بين الجملة ، وما

(١) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم انيس صـ١١٧ ،١١٨.

(٢) النكت والعيون ٦/٢٩٥.

يليها من جمل ، ومنهم مَن يقوده الحديث عن التوازي إلى الحديث عن الأفكار ، والانسجام في النص والمقصود به الجانب الدلالي وعلاقته بتماسك النص . [١] فضلا عن الاختيار الصوتي لكلا الحرفين، لما لهما من صفة الرقة للهاء والتكرار للراء ، فصوت الهاء مهتوت لما فيه من الضعف والخفاء . [٢] أما صوت الراء فيتكرر غلق الممر وفتحه عند إنتاجه ، فيخرج الهواء متقطعا على نحو ما نحسه عند خروج صوت الراء . [٣] وهو ما يتناغم مع المعنى المراد من الآيتين من استعمال الرقة مع اليتيم والسائل، والحث على ضرورة الإحسان إليهما ، ووجوب معاملتها بالرفق واللين ، الأمر الذي يبرز دور الدلالة الصوتية ، ولا تغيب أهمية صفات الحروف في إنشاء التوقيع الصوتي في القرآن الكريم ، فروعة النظم القرآني تكمن في نظامه الصوتي البديع ، غير أن آلية التوازي يبرز فيها الإيقاع على مستوى الفاصلة القرآنية ، فهي تحقق جرسا خاصا، ووقعا موسيقيا له مكانته الإيقاعية . [٤]

ويستفاد من النهي عن القهر والنهر النهي عما هو أشد منهما في الأذى كالشتم والضرب والاستيلاء على المال وتركه محتاجا . [٥]

(١) أسلوبية التوازى في القرآن الكريم سور هود – الحجر – الشعراء نموذجا د / نسيمة بغدادى صـ ٥١ .

(٢) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال صـ ١٧٥ .

(٣) علم الصوتيات د/ عبد العزيز أحمد علام، د/ عبدالله ربيع محمود صـ٢٦٦ .

(٤) أسلوبية التوازى في القرآن الكريم سور هود – الحجر – الشعراء نموذجا د / نسيمة بغدادى صـ ٦٦ بتصرف .

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣٠ / ٤٠٣.

واللافت للنظر في الفاصلة هنا هو انتهاؤها بحرف الراء ، كما يلاحظ فيها انتهاؤها بمقطع من النوع الثالث ص ح ص وهو (هر) من (تقهر) ، وكذلك (تنهر) . [١]

وجاءت الفاصلة الأخيرة لقوله تعالى﴿فَحَدِّث﴾المنتهية بمقطع من النوع الثالث (ص ح ص) (د ث) ، وقد اختلفت نظرة المفسرين لهذه الفاصلة فمنهم من اهتم بدلالتها ، قال مقاتل:ط يعني اشكر لما ذكر من النعمة عليك ، فى هذه السورة من الهدى بعد الضلالة، وجبر اليتيم ،والإغناء بعد العيلة ، فاشكر هذه النعم، والتحدث بنعمة الله شكر. [٢]

ومنهم من اهتم بموقعيتها فى ترتيب الفواصل . فقد علق النيسابورى على دلالة الفاصلة فى قوله تعالى ﴿فَحَدِّث﴾ قائلاً: " قال المحققون : إنما أخّر التحديث تقديما لحظّ الخلق على حظّ نفسه ؛لأنه غني وهم المحتاجون ، ولهذا رضى نفسه بالقول فقط ، ولأن الاستغراق في بحر الشكر ومعرفة المنعم غاية الغايات ونهاية الطاعات" . [٣]

وبعد رحلة ليست بالقصيرة في تأمل الفواصل في سورة الضحي . يمكن استنباط النتائج الآتية :

١- للفاصلة القرآنية في سورة الضحى أثرها الدلالي الذي يتفق وسياق السورة ؛ إذ صوِّرت علاقة القرب بين الحق – سبحانه وتعالى – ونبيه محمد – صلى

(١) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ١٦٤ ، وعلم الصوتيات د/ عبد العزيز علام ود/ عبدالله ربيع محمود صـ ٢٨٠.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥١٣/٤ .

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥١٩/٦ .

الله عليه وسلم – مشيرة إلى تكريم المولى – عزَّ وجلَّ – نبينا الكريم وامتداد عطائه له .

٢- تنوعت أواخر الفواصل فى السورة الكريمة بين أحرف الألف، والراء ، والثاء على الترتيب .

٣- حققت فاصلة الألف تكرارا واضحا فى السورة الكريمة حيث جاءت فى ثماني فواصل تليها الفاصلة المنتهية بحرف الراء ، فوقعت في فاصلتين، أما الفاصلة المنتهية بحرف الثاء فقد جاءت مرة واحدة فى نهاية السورة .

٤-أكثر المقاطع شيوعا في الفاصلة القرآنية فى سورة الضحى هو المقطع (ص ح ح) وهو مقطع من النوع الثانى مكون من صامت متلو بحركة طويلة (الألف) فقد وقع في ثماني فواصل ، وقد جاء هذا المقطع متناغما مع سياق السورة ، إذ جاء منتهيا بحركة طويلة وهى الألف ومن الثابت صوتيا أن صوت الألف يتميز بالامتداد حال النطق به ، وهو ما يناسب امتداد عطاء الله لنبيه محمد – ﷺ – الأمر الذي يتفق والدلالة النفسية التي تخيّم على ألفاظ وتراكيب السورة وهى بثّ الطمأنينة في قلب نبينا الكريم.

٥-كان للمقطع (ص ح ص) وهو المكون من صامت تتلوه حركة ثم صامت حضور متميز ، فقد جاء فى ثلاث فواصل (هر) من (تقهر – تنهر)، و(د ث) من (فحدّث) وربما كان السرّ فى تنوع المقاطع في فواصل السورة الكريمة يكمن في تنوع الإيقاع المبني على التنوع المقطعيّ ، وكسر سمة التكرار ، لما في ذلك من جذب انتباه المتلقي لدلالة لفظ الفاصلة، وما تشمله من إيحاءات نفسية .

خاتمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان وأسبغ عليه نعمه، وفضله على سائر مخلوقاته بالعقل والحكمة، وهداه إلى طريق الهدى بالفضل والمنة والصلاة والسلام على خير البرية، ورسول الرحمة للبشرية سيدنا محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه الكرام .

وبعد هذه الرحلة التي قضيتها مع موضوع (أثر الدلالة النفسية في المعنى في سورة الضحى) ، فقد تحددت قيمة هذا البحث في أربعة أمور جوهرية :-

أولها : الوقوف على أثر الدلالة النفسية فى المعنى .

وثانيهما: إلقاء الضوء على الفاصلة القرآنية وبيان أثرها فى الدلالة .

وثالثهما : ما تثيره الأساليب الخبرية والإنشائية من معان ، وأثرها فى نفس المتلقي.

ورابعهما : إلقاء الضوء على الفاصلة القرآنية، وبيان أثرها فى الدلالة .

هذا وقد تمخض البحث عن عدة نتائج أهمها :-

١- المحاور الدلالية التي اشتملت عليها سورة الضحى أربعة وبيانها على الوجه الآتي:

أ – تكذيب مشركي مكة ورد مزاعمهم .

ب – تكريم النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– وبيان علو منزلته.

ج– ذكر منن الله – عزّ و جلّ– على نبينا الكريم محمد – صلوات ربى وسلامه عليه –.

د – وصايا الحق– سبحانه وتعالى – لنبيه محمد– ﷺ – المتمثلة فى الاهتمام باليتيم، وحسن معاملة السائل وردّه باللين واللطف ، وشكر نعم الله عليه .

٢- الدلالة النفسية التي خيّمت على ألفاظ و تراكيب السورة الكريمة هي بثّ الطمأنينة في نفس النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وإشعاره بأنه في ظلال معية الله .

٣- للسياق أثره في تغيير دلالة الحرف، ظهر ذلك في السورة الكريمة في تغيير دلالة الحرف (سوف) من التنفيس إلى التأخير من ناحية ، وإلى معنى الوعد في حق النبي من جهة أخرى .

٤- نبّه البحث على الدور الكبير للدلالة النحوية في المعنى ، وذلك من خلال حذف المفعول في قوله (قلى) و (فآوى) و(فهدى) و (فأغنى) الذى يفيد العموم والشمول: ، وكذلك في التعبير بصيغة المضارع فى قوله تعالى ﴿ وَلَسَوفَ يُعطِيكَ ﴾ بالإضافة إلى دلالة الإضافة في قوله تعالى (رَبُّكَ) الدالّة على امتداد عطاء الله – سبحانه وتعالى – لنبينا الكريم محمد فى قوله تعالي (نعمة ربك) و ما تفيده من التعظيم .

٥- جمال وروعة النظم القرآني في مراعاة التدرج الزمني في عرض نعم الله سبحانه وتعالى – على النبي محمد – ﷺ – بدءا من مرحلة الطفولة (يتيما) مرورا بمرحلة الشباب (ضالا) وانتهاء بمرحلة النضوج (عائلا).

٦- نبه البحث على التماسك النصي بين آيات وسور القرآن الكريم ، وقد بدا ذلك جليّا في الربط بين قوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ﴾ و قوله – عزّ و جلّ- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ رُوحا مِّن أَمرِنَا مَا كُنتَ تَدرِي مَا ٱلكِتَٰبُ وَلَا ٱلإِيمَٰنُ﴾ فى سورة (الشوري) من الآية ٥٢

٧- للفاصلة القرآنية دورها الدلالي الذي يتفق مع سياق السورة ؛ إذ صوّرت علاقة القرب بين الحق – سبحانه وتعالى – ونبيه محمد – ﷺ – مشيرة إلى تكريم المولى – عز وجل – نبينا الكريم وامتداد عطائه له .

٨- لم تقصد الفاصلة القرآنية لذاتها، وإنما جاءت تحقيقا لأبعاد دلالية تتفق مع سياق السورة منها جذب انتباه المتلقي لدلالتها، وما تشمله من إيحاءات نفسية.

٩- كانت فاصلة الألف الأعلى تكرارا فى سورة الضحى إذ جاءت فى ثماني فواصل يليها الفاصلة المنتهية بحرف الراء، فقد وردت فى فاصلتين .

١٠- كان المقطع من النوع الثاني (ص ح ح) أكثر المقاطع شيوعا فى الفواصل القرآنية في سورة الضحى، فقد ورد في ثماني فواصل .

١١- كان للمقطع من النوع الثالث (ص ح ص) المكون من صامت تتلوه حركة ثم صامت حضور متميز، فقد ورد في مقطع (هر) من (فلا تقهر) و (فلا تنهر) و (دث) من (فحدّث) .

وبعد :

لعلي بهذا أكون قد وفقت فى دراسة موضوع أثر الدلالة النفسية فى المعنى فى سورة الضحى لافتا نظر الباحثين إلى أهمية دراسة أثر الدلالة النفسية فى سور القرآن الكريم ، وما تحمله من إيحاءات نفسية راجيا الله العلي القدير أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله إضافة للمكتبة العربية ، وأن يجعله في ميزان حسناتي ، وأن ينفعني به يوم الدين ، وآخر دعوانا .

ان الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١- أساس البلاغة للزمخشري تح محمد باسل عيون السود ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.

٢- أسلوبية التوازي في القرآن الكريم سورة هود – الحجر – الشعراء– نموذجا د/ نسيمة بغدادي – رسالة دكتوراه كلية الآداب واللغات – جامعة محمد بوضياف – الجزائر ٢٠١٦/٢٠١٧ .

٣- أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال، الناشر مطبعة الجبلاوي – الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

٤- الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس ، الناشر مكتبة الانجلو ١٩٩٥م .

٥- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، د ت .

٦- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن على بن حيان أثير الدين الأندلسي تح / صدقي محمد جميل – الناشر دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ .

٧- تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي تح د/ مجدي باسلوم ، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٨- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤م .

٩- التعبير القرآني والدلالة النفسية، للباحث عبد الله محمد الجيوسي، الناشر دار الغوثاني – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦ م .

١٠- تفسير ابن عرفة لمحمد بن محمد بن عرفة تح محمد المناعي ، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م.

١١- تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني تح / ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر دار الوطن إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م .

١٢- الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي تح/ فخر الدين قباوة ، أ /محمد نديم فاضل ، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٣- دراسات في الدلالة والمعجم د/ رجب عبد الجواد إبراهيم ، الناشر دار غريب ٢٠٠١ م .

١٤- الدلالات النفسية لبعض الآيات القرآنية في سورة يوسف – عليه السلام– دراسة موضوعية، للباحثين محمد مصعب محمد جاسم ، وماجد محمد خليفة بحث منشور بمجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٥) العدد السابع شوال ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨ م .

١٥- دلالة الألفاظ د/ ابراهيم أنيس ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٨٤ م .

١٦- دلالة السياق في القصص القرآني د/ محمد عبدالله علي يوسف العبيدى ، الناشر إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء – الجمهورية اليمنية ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م .

١٧- الدلالة النفسية في سورة مريم للباحث عقيل عكموش عبد ، بحث منشور بمجلة القادسية فى العلوم والآداب – جامعة القادسية العددان (٤،٣) المجلد (٦)،٢٠٠٧م .

١٨- الدلالة النفسية في سورة نوح ، د/ مروة محمد عبد العظيم عبد العزيز بحث منشور بحولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد الخامس والعشرون ١٤٤٢هـ ٢٠٢١ الجزء السادس .

١٩- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك لبدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك تح محمد باسل عيون السود – الناشر دار الكتب العلمية١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م .

٢٠- صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم د/ محمود توفيق سعد – الناشر مطبعة الأمانة – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م .
٢١- علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر – الناشر عالم الكتب – الطبعة الرابعة ١٩٩٣م .
٢٢- علم الدلالة اللغوية دراسة تطبيقية على القرآن الكريم د/ أحمد عبد التواب الفيومي ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث – الجزيرة للنشر و التوزيع . القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠١٠ م .
٢٣- علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية د /فريد عوض حيدر، الناشر طبعة مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .
٢٤- علم الصوتيات د/ عبد العزيز علام، و د/ عبدالله ربيع محمود – الناشر مكتبة الرشد ناشرون – الرياض – المملكة العربية السعودية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م .
٢٥- علم اللغة بين القديم والحديث د/ عبد الغفار حامد هلال ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .
٢٦- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السعران – الناشر طبعة دار الفكر العربي القاهرة– الطبعة الثانية ١٩٩٧ م .
٢٧- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني د/بسيوني عبد الفتاح فيود، الناشر مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع – الأحساء، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨ م .
٢٨- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تح د/مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي، الناشر دار و مكتبة الهلال. د ت .
٢٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري تح الشيخ زكريا عميرات، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٣٠- الفاصلة القرآنية دراسة فى سبلها المغايرة وأثرها الأسلوبي د/ إياد عبد الودود الحمداني، الناشر جامعة ديالي – كلية التربية للعلوم الإنسانية د ت .
٣١- الفاصلة القرآنية والسجع عبد الفتاح محمود المثنى، دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد ٣٧ العدد الأول ٢٠١٠ م .
٣٢- فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمي تح نور الدين طالب، الناشر دار النوادر – إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م.
٣٣- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي تح / إياد محمد الغوج ، د/ جميل بني عطا – نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم – الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م.
٣٤- في علم الدلالة اللغوية د / عبد التواب مرسي حسن الأكرت ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث والجزيرة للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤٩١ هـ ٢٠١٨ م .
٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .
٣٦- لسان العرب لابن منظور، الناشر دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .
لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ .
٣٧- لغة القرآن الكريم في قصة أصحاب الجنة دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسى د/ سوسن الهدهد. بحث منشور بمجلة الزهراء – القاهرة، العدد الثلاثون أكتوبر ٢٠٢٠ م الجزء الأول .

٣٨- المحرر الوجيز لابن عطية تح عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .
٣٩- معاني القرآن وإعرابه للزجاج تح عبد الجليل عبده شلبي، الناشر عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م .
٤٠- المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق د/ رياض زكي قاسم ، طبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.
٤١- مقاييس اللغة لابن فارس تح عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الفكر ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .
٤٢- من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السادسة ١٩٧٨م .
٤٣- النحو الوافي عباس حسن ، الناشر دار المعارف – الطبعة الخامسة عشرة د ت .
٤٤- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة د ت .
٤٥- النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي تح السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، د ت .
٤٦- الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبى طالب تح مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة – مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة. الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٤٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،على محمد معوض. وآخرين، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
التمهيد : التعريف بعلم الدلالة	٩٨٤
المبحث الأول : الدلالة النفسية للألفاظ	٩٩٣
المبحث الثانى :- الدلالة النفسية للتراكيب	١٠٢٠
المبحث الثالث : الدلالة النفسية للفواصل	١٠٢٦
الخـــاتمة	١٠٣٥
فهرس المصادر والمراجع	١٠٣٨
فهرس الموضوعات	١٠٤٤